هو العزيز

الأربعين

في التراث الشيعي

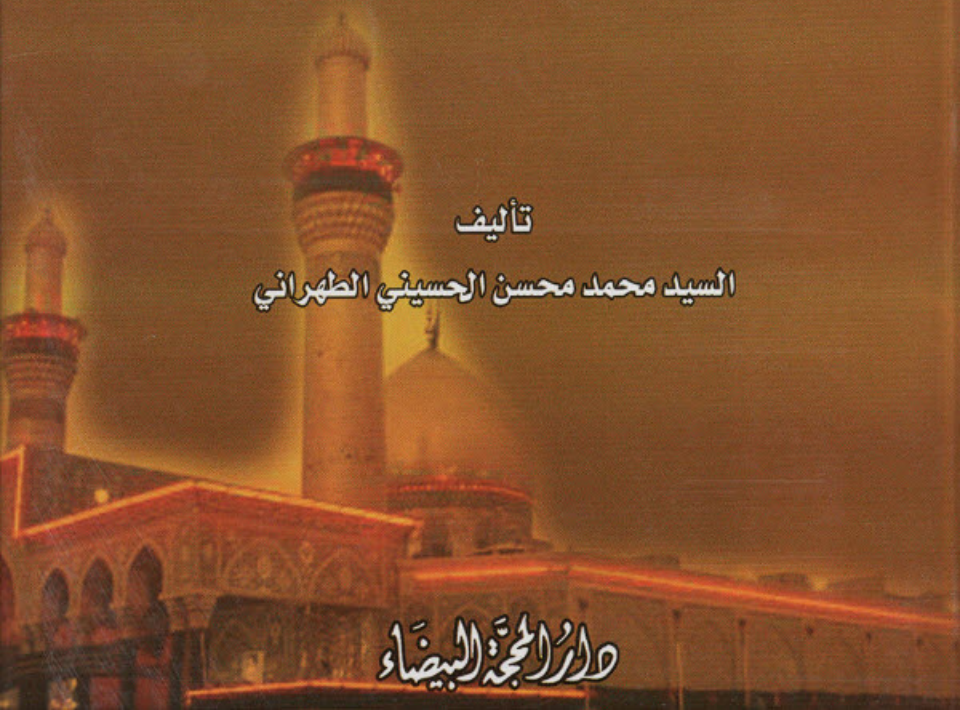

تأليف

السيد محمد محسن الحسيني الطهراني

دار المحجة البيضاء

عز العزيز

الأربعين
في
التراث الشيعيّ

تأليف

السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

اسم الكتاب

«الأربعين» في التراث الشيعيّ

تأليف:

السيّد محمّد مُحسن الحُسيني الطهرانيّ

«الأربعين» في التراث الشيعيّ

تأليف: السيد محمّد محسن الحسيني الطهراني.

بيروت\ دار المحجّة البيضاء\

عدد الصفحات ـــــــــ صفحة

فهرس المطالب والموضوعات

فهرس كتاب
الأربعين في التراث الشيعيّ

العنوان — الصفحة

المقدّمة ١١ ـ ٢٩

معنى «الشعار» في «لسان العرب» ١٣
شرح كلمة «الشعار» من كتاب «لغت نامه دهخدا» ١٦
كيان الأمم والشعوب قائم على المحافظة على سننها وشعائرها .. ١٨
الولاية والإمامة هي المحور الأصلي للمذهب الشيعيّ وشعاره .. ٢٠
رجوع الشيعة إلى الإمام المعصوم وتبعيتهم له ليست بعنوان أنّه مرجعاً ٢٢
هويّة المذهب الشيعيّ متقوّمة بالانقياد المطلق للإمام المعصوم .. ٢٣
إقامة «الأسابيع» و«الأربعين» و«الذكرى السنويّة» للمتوفّى من الرسوم الخاطئة ٢٥
إنّ ذكرى «الأربعين» من مختصّات سيّد الشهداء ٢٦

الفصل الأول

مصطلح الأربعين في الثقافة الشيعية

٣١ ـ ٥٥

هناك آثار تكوينيّة وتشريعيّة لعدد الأربعين في الثقافة الإسلاميّة .. ٣٣
الإنسان يصل إلى مرحلة البلوغ العقلاني في سنّ الأربعين ٣٦
لا تقبل صلاة شارب الخمر حتّى أربعين يوماً ٣٩
من يغتب مسلماً لا تقبل صلاته ولا صومه إلى أربعين يوماً ٤٠
قراءة الحمد أربعين مرّة على الماء تشفي من الحمّى ٤٠
شهادة أربعين مؤمن على جنازة المسلم توجب المغفرة له ٤١
حدّ الجار إلى أربعين منزل من كلّ جهة ٤٢
انقطاع الوحي عن رسول الله مدّة أربعين يوماً ٤٣
بقي حضرة النبيّ يونس عليه السلام في بطن الحوت أربعين يوماً . ٤٥
علّة تنبيه الله النبيّ لأجل ترقّيه وهو لا ينافي العصمة ٤٨
الروايات تصرّح بتأثير عدد «الأربعين» على بزوغ الاستعدادات .. ٤٩
كلام المرحوم السيّد بحر العلوم فيما يتعلّق بعدد «الأربعين» ٥٠
تذييل المرحوم العلّامة الطهرانيّ على كلام السيّد بحر العلوم ... ٥٢

الفصل الثاني

فلسفة ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام

٥٧ ـ ٩٠

حفظ حريم مقام الولاية والإمامة وحراسة حدّها وحدودها هو أحدُ
أصول التشيّع ٥٩

ثورة سيّد الشهداء عليه السلام أكثر الأمور حيويّة لتمييز الحقّ عن الباطل ٦٣
مجالس عزاء سيّد الشهداء قد انحرفت عن مسارها الأصيل ٦٦
أبعاد ثورة سيّد الشهداء عليه السلام لا تنحصر بخصوص مقارعة الظلم ٦٧
الاعتراض على الإمام المجتبى عليه السلام بسبب عدم قيامه ناشئ من الجهل ٧١
قيمة تاريخ عاشوراء تنشأ من وجود الإمام المعصوم فيها ٧٣
جهاد الإمام المعصوم أو صلحه تابعان لإرادة الحقّ ٧٥
واقعة كربلاء هي إحدى ظهورات الإمام الحسين عليه السلام ... ٨٠
إنّ مواجهة سيّد الشهداء ليزيد مقدّمة لإحياء السنن ومعرفة الله .. ٨٤
شعار ثورة سيّد الشهداء إحياء السنّة وإماتة البدع ٨٦
الهدف من الخلقة معرفة الله ومعرفة الإمام ٨٧
السماء بكتْ دماً على الإمام الحسين عليه السلام أربعين يوماً ... ٨٩

الفصل الثالث

اختصاص الأربعين بسيد الشهداء عليه السلام من شعار التشيّع

٩١ ـ ١٣٦
الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يبيّن أنّ زيارة الأربعين إحدى شعائر الشيعة ٩٣
لم تعد ذكرى الأربعين في هذه الأيّام شعاراً خاصّاً بالتشيّع ٩٥
أقام أهل البيت العزاء على سيّد الشهداء في المدينة ثلاثة أيّام فقط ٩٧

عدم المنع لا يدلّ على الحلّية والجواز ١٠٠
لا يجوز ترك التزيّن للنساء في العزاء على الميّت لأكثر من ثلاثة أيّام ١٠٤
يستحبّ جلب الطعام إلى منزل صاحب المصيبة لمدّة ثلاثة أيّام ١٠٧
روايات أهل السنّة تدلّ على أنّ أمد مجلس الترحّم ثلاثة أيّام .. ١٠٩
الإيراد على كلام المرحوم النراقيّ من عدم انحصار العزاء في ثلاثة
أيّام ١١١
حصر الحداد في الثلاثة أيّام يدلّ على المنع من الزائد ١١٤
مع الأسف مراسم العزاء في مجتمعاتنا لا توجب العبرة والاتّعاظ ١١٥
بعض الانحرافات الواضحة فيما يتعلّق بدفن الميّت ١١٧
البدع الوافدة من الغرب بالنسبة لمجالس العزاء ١٢٣
ورود النهي عن مشاركة النساء في مراسم التشييع والدفن ١٢٥
لم يرد في الإسلام ذكر «الأسبوع» و«الأربعين» و«الذكرى السنويّة»
للأموات ١٢٨
إحياء الأربعين لجميع الأموات يخرجها عن كونها شعاراً خاصّاً
لسيّد الشهداء ١٣١
المراجع ١٣٩

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصلاة على أشرف رسله وخاتم سفراله

محمّد وآله الغرّ الميامين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

كلّ مذهب من حيث محتواه وهويّته الذاتيّة عبارة عن مزيج من الأصول والأسس العلميّة والعمليّة، ومجموعة من الرموز التي يعبّر عنها بالشعائر والعلائم المميّزة والمشخّصة لهذا المذهب.

ففي لسان العرب يوردُ فيما يتعلّق بكلمة «الشعار» ما يلي:

والشِّعارُ: ما وَلِيَ شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب. . . ، والدثار: الثوب الذي فوق

الشعار... وفي حديث الأنصار: أنتم الشعار والناس الدثار؛ أي أنتم الخاصّة والبِطانة[١].

والمعنى أنّه: تطلق كلمة الشِّعار ـ بكسر الشين ـ على اللباس الداخليّ الملاصق والمماسّ للبدن، بخلاف الدثار الذي يطلق على اللباس الخارجيّ، وبذلك ورد في الحديث: أنتم جماعة الأنصار الشعار، وسائر الناس هم الدثار؛ يعني: أنتم معشر الأنصار من زمرة الخواصّ والسرّ...

... والشعار: العلامة في الحرب وغيرها. وشعار العساكر: أن يسموا لها علامة ينصبونها ليعرف الرجل بها رفقته.

... وشعار القوم: علامتهم في السفر... والشعار: العلامة.

... وشعار الحجّ: مناسكه وعلاماته وآثاره وأعماله، جمعُ شعيرة، وكلّ ما يجعل علماً لطاعة الله عزّ وجلّ كالوقوف والطواف والسعي والرمي والذبح وغير ذلك؛ ومنه الحديث: أنّ جبرائيل أتى

---

(١) لسان العرب، ج٤، ص٤١٢.

النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقال: مُرْ أمّتك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنّها من شعائر الحجّ!

... وقال الزجّاج في شعائر الله، يعني بها جميع متعبّدات الله التي أشعرها الله أي جعلها أعلاماً لنا، وهي كلّ ما كان من موقف أو مسعى أو ذبح[1]...

والمعنى: أنّ **الشعار** يطلق على العلامة التي توضع للحرب وغيرها، **وشعار العساكر** هو العلامة التي يضعها الجند كي يميّز العسكر أنفسهم عن الأعداء، **وشعار القوم** إنّما يطلق على العلامة التي يحملونها أثناء السفر (مثل العلم وما شابهه)، وبشكلٍ عامّ **الشعار** يعني: المؤشّر والعلامة.

و **شعار الحجّ** عبارة عن المناسك والعلامات والآثار والمواقف والأعمال الخاصّة التي تميّزه عن سائر العبادات، وجمعه شعيرة؛ يعني: كلّ عملٍ جُعلَ بعنوانه مشيراً إلى إطاعة الأمر الإلهيّ، الأعمّ من الوقوف بعرفات أو المشعر أو الطواف والسعي والرمي والذبح ونظائرها.

---

(١) لسان العرب، ج٤، ص٤١٣ ـ ٤١٤.

ومن هذا الباب الرواية التي تحكي أنّ جبرائيل أتى إلى حضرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبيّن له أنّه عليه أنْ يأمر أمّته برفع أصواتهم أثناء التلبية، لأنّ التلبية من شعائر الحجّ.

و الزجّاج كذلك قد أراد هذا المعنى حينما تعرّض لمناسك الحجّ وشعائره.

وفي قاموس دهخدا يقول:

شعار: نشان وعلامت. نشانه گروهی از مردم که بوسیلهٔ آن یکدیگر را شناسند. نشان وعلامت سلطان یا امیر، یا خرقه ای چون عَلَم سیاه یا سفید ویا کلمه ها که طریقه وآئین او را نمودار سازد.

عربهای زمان جاهلیت در میدان کارزار شعارهائی می دادند که مناسب با اوضاع روز بود؛ مثلاً در جنگ اُحد سپاهیان مخالف اسلام به نام دو بت خود عُزّی وهُبَل فریاد می زدند وقبیلهٔ تنوخ در حیره (یا آل عباد الله) می گفتند.

پیغمبر اکرم شعار مهاجرین را (یا بني عبدالله) وشعار اوس وخزرج (انصار) را (یا بني عبدالله ویا بني عبیدالله) قرار داد؛ وسپاهیان اسلام را (خلیل الله) می خواندند

وبعداً نيز به مقتضيات روز شعارهائى ساخته بكار مى بردند...

شعار افكندن: رسم وآئين طرح كردن؛ وشعار ساختن: راه ورسم وعلامت خود قرار دادن، سنّت كردن . .[١].

والمعنى: أنّ الشعار هو الوسام والعلامة. وهو عبارة عن علامة تضعها جماعة من الناس، بواسطتها يتعرّف بعضهم على بعض. ووسام السلطان أو الأمير أو علامتهما، أو الخرقة، مثل العَلَم الأسود أو الأبيض، أو الكلمات التي توضّح طريقته ومنهجه.

وكان العرب زمن الجاهليّة يضعون أثناء الحرب شعارات تتناسب مع أوضاع ذلك اليوم؛ مثلاً في معركة أُحُد كان الجنود المخالفون للإسلام ينادون ويستغيثون بصنمين لهم: **العزّى و هُبل**، وقبيلة **تنوخ في الحيرة** كانت تقول: **يا آلَ عباد الله**.

وقد جعل النبيّ الأكرم شعار المهاجرين **يا بني عبد الله**، وشعار الأوس والخزرج (الأنصار) **يا بني عبد الله ويا بني عبيد الله**؛ وجيش المسلمين كانوا يقولون: **خليل**

---

(١) قاموس دهخدا، مادّة شعار.

الله[١]، وبعد ذلك أيضاً كانوا يستعملون شعارات تتناسب مع مقتضيات الحال ..

وطرح الشعار: هو جعل الرسم والعادة، والإعلان عن السنّة.

ووضع الشعار وجعله: يعني جعله علامة وعادة لأنفسهم، وجعله الطريقة والسنّة..

قد اتّضح من خلال بيانات اللغويّين وتتبّع موارد استعمال كلمة الشعار أنّها تطلق على الخصوصيّات الثقافيّة والآداب الخاصّة للأمّة التي تبرزها وتميّزها عن سائر الأمم.

فشعار الإسلام عبارة عن الأحكام والقوانين المدوّنة في هذا الدين الحنيف، والتي لا نظير لها في سائر الأديان، لأنّ شعار مذهب التشيّع هو الاقتداء بالإمام المعصوم عليه السلام والتسليم إليه وتفويض الاختيار والإرادة الذاتيّة إليه، وإحكام إرادته ومشيئته في جميع زوايا الوجود، الأعمّ من التكوين والتشريع.

ومن البديهيّ أنّه ما دامت الأقوام والملل تحافظ على سننها وشعائرها وتتمسّك بها فإنّ هويّتها الثقافيّة سوف تظلّ

---

(١) هكذا جاء في قاموس دهخدا، والصحيح: يا خيلَ الله.

محفوظة، وسوف يبقى الطريق مسدوداً أمام تدخّل ثقافات سائر الأقوام الأخرى وغلبة سننها وأساليبها، ونفوذها إلى حريم دائرة اعتقاداتها وسلوكها؛ وأمّا إذا ما عمدوا إلى الإهمال والتسامح، والافتتان بتقاليد الآخرين والوله بها المؤدّي إلى التساهل، فسرعان ما يبلى أثر تلك الأمّة، وتضمحلّ هويتها ويتلاشى كيانها، وبالتالي سوف تذوب وتنحلّ وتنصهر في عادات تلك الأقوام الأخرى ورسومها.

نعم، من الواضح جداً أنّه ليس كلّ أدب أو سلوك مرضيّاً ومحموداً، وعليه فإنْ لم يستطع الإنسان إخضاع آداب مجتمعٍ ما وسننه، ضمن الموازين العقليّة والشرعيّة، فعليه أنْ يتركها ويقلع عنها، ويتّبع السنّة العقلانيّة والسلوك الممضى من الشرع.

يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

بعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق[1].

يعني: إنّما بعثت لأتمّم الفضائل والمكارم والقيم الإنسانيّة الرفيعة، وأبلغ بها أوجها، وأمحو التقاليد والسنن الجاهليّة، وأستبدلها بالنهج الإلهي والطريق القويم.

---

(١) مكارم الأخلاق، ص٨؛ والسنن الكبرى، ج١٠، ص١٩٢.

فالحقيقة التي لا يمكن إنكارها في مدرسة التشيّع هي محوريّة الولاية وإمامة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، فهي القاعدة والأساس، وبعبارة أوضح: هي الفصل المنوّع والصورة المحصّلة للدين الإسلاميّ المبين. ففي هذه المدرسة، مع كون الإطاعة الحصريّة للإمام المعصوم عليه السلام أمراً ممضىً ومقبولاً وصحيحاً، وكون أخذ الأحكام من غير الإمام المعصوم عليه السلام باطلاً ومرفوضاً، إلّا أنّ ذلك غير مقيّد بخصوص دائرة الأحكام الشرعيّة الفرعيّة فقط، فأخذ الأحكام الشرعيّة عن الإمام المعصوم عليه السلام له مكانته، ولكنّ المسألة أعلى من ذلك، فالإمام في مدرسة التشيّع هو كلّ شيء بالنسبة للإنسان الشيعيّ، وبدون الإمام ليس هناك هويّة للمذهب أصلاً.

إنّ اختلاف الشيعة مع الإخوان السنّة، ليس لأجل تحديد المرجعيّة الفقهيّة ومركزيّة الحكم وتحديد منشئه، بحيث يأخذ أحدهم عن الإمام عليه السلام والآخر يرجع إلى أبي حنيفة ـ علماً أنّ أخذ الحكم من أبي حنيفة أمرٌ باطل، والعامل على أساسه سوف يُعاقب ويُؤاخذ ـ بداهة أنّ الاختلاف في الأحكام أمرٌ واقعٌ وموجودٌ بين أهل السنّة

وكذلك بين فقهاء الشيعة وعلمائهم، وقد يبلغ هذا الاختلاف ذروة التقابل والتنافر، وقد يؤدّي إلى وجود فتوايين متناقضين كما هو واضح جداً بأدنى تأمّل في تاريخ الفقه وكيفيّة اختلاف الفقهاء. وكذلك الأمر بالنسبة إلى أهل السنّة، فالاختلاف في الفتوى بينهم حاصل بشكل وفير، وليس ذلك مدعاة لملامة أو توبيخ أحدهم للآخر.

إنّ حقيقة الاختلاف بين الشيعة والسنّة ترجع إلى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد نصّب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأولاده الإحدى عشر، بعنوان أنّ كلاً منهم وليّ، وأنّه صاحب الاختيار والتصرّف والإرادة ـ بحيث تكون إرادته واختياره ومشيئته ورغبته حاكمة وغالبة ومقدّمة على إرادتنا ورغبتنا ـ وقد بيّن حقيقة هذا التنصيب وسرّه بشكلٍ واضح وجليّ بقوله:

من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه[1].

فرجوع الشيعة إلى الإمام المعصوم عليه السلام ليس

---

(١) يرجع إلى المجلّد السابع من كتاب **معرفة الإمام**، تأليف حضرة العلّامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد حسين الحسينيّ الطهرانيّ.

بعنوان أنّه مرجعٌ في الأحكام وعالمٌ بها، وضليع بالفقه والتشريع ـ كما هو الأمر في رجوع المقلّد إلى مرجعه وأخذه عن رسالته العمليّة ـ وإنّما ذلك لأجل أنّ الإمام عليه السلام صاحب سرّ عالم الخلقة، وحقيقة الفيض الإلهيّ المتنزّل، والواسطة بين الحقّ والخلق في جميع المراتب الوجوديّة، والمتولّي لنظام عالم الكون، ومربّي النفوس نحو الكمال، وهو نقطة الاتّصال بيننا وبين الله. ولا بدّ من الفناء والانمحاء والتسليم بشكل كامل مقابل حقيقة كهذه، تماماً كالعبد الذي ليس له أيّ اختيار من نفسه أمام المولى، وحقيقة الأمر كذلك.

وإذا نظر الإنسان إلى المعصوم على أنّه مجرّد مبيّن للأحكام التكليفيّة، والتي بدوره ينقلها عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، حينئذٍ يكون قد نزّله منزلة الراوي للحديث، مع فارقٍ هو أنّ الراوي للحديث قد يصدر منه الخطأ والسهو أثناء نقله للرواية، أمّا الإمام عليه السلام فإنّه لا يقع في السهو والنسيان في ذلك! وفي الواقع، لا يمكننا تسمية صاحب هذه النظرة بأنّه شيعيٌّ.

وعلى هذا الأساس، فحتّى لو افترضنا أنّ أبا حنيفة يأتي

ويبيّن المسائل والأحكام دون الوقوع في الاشتباه، وبالتالي يجعل المسائل والمطالب العلميّة في اختيار الناس بشكلٍ صحيح، ولكن من ناحية أنّه يأتي ويفتتح مجلس التدريس مقابل الإمام الصّادق عليه السلام، ويطرح نفسه في الطرف المقابل أمام وجود وحضور الإمام، فإنّه خارج عن زمرة الشيعة، وهو في صفّ المخالفين والمعاندين؛ لأنّه لم يعتقد بولاية الإمام الصّادق عليه السلام والتي هي أصل العبوديّة وأساس الدين.

ومن ذلك نعلم أنّ ما نشاهده من الكثير من العبّاد والزهّاد وأهل الصلاح، مع ما هم عليه من الزهد والتقوى الظاهريّين، ووجود آثار الصلاح في مسيرهم ونهجهم، كما هو في جناب السيّدة **نفيسة خاتون**، حيث أنّها قرأت ستّين ختم للقرآن على قبرها، ولكن بما أنّها لم تقبل ولاية الإمام الصّادق عليه السلام ورفضت إمامته، فلا نعدّها من زمرة أهل التشيّع، بل نكلُ أمرها إلى الله سبحانه.

لأجل ذلك، فإنّ هويّة مذهب التشيّع وكيانه، متقوّمان بالتسليم والانقياد المطلق للإمام المعصوم عليه السلام؛ بحيث لا يلحظ الإنسان أيّ وجودٍ أو أثرٍ مقابل وجود الإمام

وآثاره، ويرجّح الإنسان ولايته ومشيئته على سليقته واختياره الخاصّ في جميع زوايا وجوده، ويجعل نفسه فانية ومندكّةً في ولاية الإمام وسلطته؛ فلا يرى وجوداً سوى وجوده، ولا يكون لديه إرادة سوى إرادته واختياره، وعليه أن يستفيد من كلّ فرصة سانحة كي يُحكم العلاقة ويوثق الصلة بين نفسه وإمامه، ليكون الإمام عليه السلام هو المحور في صميم وجوده، فيطرد الأغيار ولا يدع لهم محلّاً في قلبه. وحينئذٍ سوف تتجلّى حقيقة التشيّع في قلب هذا الشخص، وبذلك سوف يعدّ من زمرة شيعة الإمام عليه السلام، ويدخل في الحريم القدسيّ والملكوتيّ للإمام، وسيرتوي من زلاله وعينه المعين؛ وإلّا فلو لم تتحقّق في النفس مثل هذه الحالة، بأنْ كان متّبعاً لأهوائه ومعتمداً على سليقته وآرائه الشخصيّة ـ حتّى وإنْ كانت موجّهة وموافقة للشرع بحسب الظاهر ـ فسيُمضي عمره بالبطلان والهلاك والضياع، وستقصرُ يده عن بلوغ أذيال عناية حضرة الحقّ وألطافه، وهو في الآخرة لمن الخاسرين[1].

---

(١) اقتباس من ذيل الآية ٨٥ من سورة آل عمران (٣)؛ وذيل الآية ٥ من سورة المائدة (٥).

بناءً على هذا، فإنّ من الواجب واللازم على كلّ شخصٍ شيعيّ أنْ يُظهر شعار التشيّع ويوضّح المميّزات النفيسة والحيويّة لهذا المذهب بالشكل الأتمّ والأكمل. مثلاً، عليه أن يقوم بتعظيم وتجليل واقعة الغدير، التي تمثّل يوم تتويج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بتاج الولاية والإمامة، ولا يقصّر في الإعلان عنها وإبرازها والدعوة إليها، وتشكيل المحافل وإقامة مجالس السرور والوعظ والإرشاد، وتقديم الهدايا والتحف للأقارب والأصدقاء، ولا يكتفي بيوم واحد أو ليلة واحدة، بل عدّة أيّام يخصّصها لهذا الموضوع الهامّ. وكذلك بالنسبة إلى إقامة مجالس مواليد الأئمّة المعصومين عليهم السلام واستشهادهم، فيبذل في ذلك الجهد الجهيد، ويستفيد من أيّة فرصة لإحياء ذكر أولئك العظام، وتبليغ مرامهم وتجديد ذكرهم وذكراهم.

ومن المؤسف أنّه في الوقت الحاضر، قد استقرّت العادة على إقامة «ذكرى الأربعين» و«الأسبوع» و«الذكرى السنويّة» للأموات، وليس الداعي لذلك إلا رعاية الشؤون والشخصيّة والمصالح الخاصّة، وملاحظة المنافع الدنيويّة

لأولياء الميّت أو الأفراد المستفيدين من هذه المناسبات. والحال أنّ ما خلّفه لنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأوصياؤه المبجّلون كسنّة لنا، هو تشكيل مجالس الفاتحة إلى ثلاثة أيّام، لا أكثر!

والذي يبدو ويظهر، هو أنّ تجديد انعقاد الذكرى السنويّة للميّت كلّ سنة من خلال المجالس المملوءة بالمظاهر البرّاقة والبهرجة، والإعلانات المضحكة، وإيجاد الضجيج الصاخب، فهو ـ زائداً على كونه وسيلةً لاستجلاب الترحّم والغفران لذاك الشخص ـ وسيلةٌ وسببٌ لإبراز الحياة الشخصيّة لأقرباء الميّت والمنتسبين إليه والمتعلّقين به واستمرارها، وإظهار شؤونهم الدنيويّة. فذاك المتوفّى المسكين منهوك في ذلك العالم بالحساب على أعماله وتصرّفاته، وهؤلاء المساكين مشغولون في هذه الدنيا باكتساب الجاه، وتثبيت شأنيّتهم بواسطة وجاهة الميّت الخاوية والاعتباريّة! وتوضيح المطلب بهذا المقدار كافٍ.. والعاقل تكفيه الإشارة.

إنّ إحدى الشعائر الخاصّة بالمذهب الشيعيّ ـ والتي لا نظير لها عند أهل السنّة ـ ثورة سيّد الشهداء واستشهاده

عليه السلام، فشهادة ابن رسول الله إنّما افتُعلت على يد أسفل وأرذل خليفة في الأمّة الإسلاميّة، الذي كان قد نصّب نفسه خليفة مكان رسول الله، وكان يفتخر ويتباهى بهذه الجناية بكلّ وقاحة ودون أيّ خجل.. وهو الخليفة الذي كان موضع قبول ووثوق من قبل طبقة كبيرة من الأمّة الإسلاميّة، يعني أهل السنّة، حيث يعتبرونه من زمرة الخلفاء الإلهيّين والأمراء الواجبة طاعتهم وأنّه أحد أولي الأمر!

هذه الفاجعة التي يعترف بها جميع المؤرّخين، الموافقون والمخالفون، بل وسائر الأديان والملل، يقرّون بأنّها أبشع صفحة وأظلم فجيعة في تاريخ الحياة البشريّة، قد بلغتْ من الفظاعة والشناعة أنّ الكثير من علماء أهل السنّة قد أنكروا وقوع هذه الفاجعة بشكلٍ تامّ، أو ناقشوا وشكّكوا في انتسابها إلى خليفة المسلمين[1]!

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، المقرّم، ص٣١؛ وإحياء العلوم، ج٣، ص١٢٥؛ وكذلك شرح العقائد النسفيّة ص١٨٧؛ والردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد؛ والاتحاف بحبّ الأشراف ص١٦٢؛ والعواصم من القواصم؛ والمنح المكيّة في شرح الهمزيّة؛ وسؤال في يزيد بن معاوية... كلّ ذلك نقلاً عن رسالة النصال الخارقة لنحور المارقة في مجلّة تراثنا العدد ٥٠ و٥١.

و«أربعين» سيّد الشهداء عليه السلام سندٌ ومدركٌ يثبت حقّانيّة الإمام ومظلوميّته، في دائرة الصراع بين الحقّ والباطل. فتشكيل المجالس وإقامة المحافل السنويّة لأولياء الدين، مع كونه من أهمّ الأمور وأوجب الوظائف، إلّا أنّ مسألة «الأربعين» لا تشمل أيّاً منهم؛ فهذا الشعار وهذا الرمز إنّما جُعل وشرّع في مدرسة التشيّع فقط وفقط لسيّد الشهداء عليه السلام.

واليوم قد جرت العادة على انعقاد مجالس الترحم، التي تقام عن أرواح الأموات، وهو ما يطلق عليه ـ حسب التعبير الشائع وهو خطأ جدّاً جداً ـ ذكرى تخليد الميّت أو ذكرى تكريمه، حيث يُخال لهم أنّ روح ذاك المرحوم الميّت ستسبحُ في رحمة الله وتغرق بعناية الله من خلال هذا المجلس!

وفي هذه المقالة التي بين يديك كلامٌ يتعلّق بإثبات عدم إمضاء ذكرى الأربعين، وكونها باطلاً بنظر الشارع المقدّس، وقد سُعي فيها مضافاً إلى الاستفادة من المصادر التاريخيّة والروائيّة، والتمسّك بسنّة وسيرة أولياء الدين الأئمّة المعصومين عليهم السلام، إلى دراسة جوانب المسألة وتحقيقها على حسب الطاقة واللياقة.

وأطلبُ من الله العليّ الأعلى التوفيق والهداية في النهج القويم للشرع المبين، والصراط المستقيم للأئمّة المعصومين عليهم السلام، لي ولجميع مريدي مدرستهم وعشّاق منهجهم المقدّس؛ **إنْ أُريد إلّا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقي إلّا بالله العليّ العظيم.**

والسلام علينا وعلى جميع عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته.

قم ـ في الثامن من شهر رمضان المبارك ١٤٢٤هجريّة قمريّة

السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

الفصل الأوّل

مصطلح الأربعين في الثقافة الشيعيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقع معنى «الأربعين» ومفهومه ـ في جميع هويّاته المتفاوتة ومصاديقه الخارجيّة ـ محطّاً للبحث والنظر، بين سائر الأقوام والملل المختلفة والأديان منذ قديم الزمان؛ ولكلّ قوم وأمّة من حيث ثقافتها أنس خاصّ بهذا المصطلح ـ تقريباً ـ وألفة معيّنة معه. وبعبارة أخرى: تمثّل هذه العبارة رفيقاً حميماً لآداب أيّة مدرسة وأدبيات أيّ منهج، وحسب قول الـ **خواجة الشيرازيّ**:

سحر گه رهروی در سرزمینی
همی گفت این معمّا با قرینی
که ای صوفی شراب آنگه شود صاف
که در شیشه برآرد اربعینی[1]

---

(١) **ديوان حافظ**، طبع بختياري، ص٢٠٧، غزل ٤٥٤. والمعنى:
وقت السحر .. كان هناك «سالك» في إحدى البلاد
يحكي هذا اللغز «المعمّى» إلى أحد أقرانه.. =

فهذا المصطلح قد ترك بصماته على مساحةٍ واسعة جدّاً؛ فقد وُجد وتداول ضمن دائرة العقائد الساذجة ومناهج العوام، وصولاً إلى أعلى اللطائف وأدقّ الإشارات وأحذقها، وذلك ضمن عبارات أصحاب المقام الرفيع من ذوي الكشف وأهل المعنى والعرفان.

وفي الثقافة الإسلاميّة أيضاً، كان لهذه الكلمة مكانة خاصّة في موارد متعدّدة ـ سواء في المسائل والأحكام الفقهيّة، أم المباحث الأخلاقيّة والمطالب العرفانيّة أو المباني الاعتقاديّة ـ بنحوٍ يمكن أنْ يدّعى وجود نوع ارتباط تكوينيّ وتشريعيّ لهذا المفهوم في الثقافة الإسلاميّة، وهذه العلاقة والارتباط يمكن أن يقعا مورد بحثٍ في كلٍّ من الميدانين: التكوينيّ والتشريعيّ؛ وبعبارة أخرى: إنّ حقيقة هذا المفهوم وعينيّته الخارجيّة تحاكي عمليّة الإفاضة

= يقول أن يا أيّها الصوفيّ! إنّ الشراب يصبح صافياً عندما يمضي عليه أربعون وهو في زجاجته..
وهو كناية عن أنّ نفس الإنسان إنّما تبلغ كمالها وتحصل على النتيجة، فيما لو بقيت في المجاهدة والمراقبة والإخلاص والتزكية أربعين يوماً، وهو إشارة إلى الحديث الشريف: من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

والنزول إلى عالم الكثرة والتربية، قد أبرزها الشارع المقدّس بصورة سلسلةٍ من الأحكام والقوانين التكليفيّة أو السلوكيّة والتربويّة النفسانيّة.

فبالنسبة لخلقة آدم أبي البشر، جاءت هذه الحقيقة كمبيّنٍ للحيثيّات الاستكماليّة والفعليّة لمقام خلافته الإلهيّة، كما في كتاب **إحياء العلوم** حيث يروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال:

إنّ الله خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحاً[1].

وكذلك ما جاء برواية **مرصاد العباد**:

خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً[2].

وفي كتاب **عوارف المعارف** يقول كذلك:

فمن التراب كوّنه وأربعين صباحاً خمّر طينته

---

(١) **تفسير ابن عربي**، ج١، ص١٥٤ **وجامع البيان**، ابن جرير الطبري، ج٣، ص٣٠٦؛ وكذلك في كتاب **إحياء علوم الدين**، ج٤، ص٢٧٧.

(٢) **عوالي اللئالي**، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج٤، ص٩٨؛ **وشرح الأسماء الحسنى**، الملا هادي السبزواري، ج١، ص١٨١؛ **وشرح فصوص الحكم**، محمّد داوود قيصري رومي، ص١٣٣٤؛ **ومرصاد العباد**، ص٦٥ و٢١١.

ليبعد بالتخمير أربعين صباحاً بأربعين حجاباً من الحضرة الإلهيّة، كلّ حجاب هو معنىً مودعٌ فيه، يصلح به لعمارة الدنيا ويتعوّق به عن الحضرة الإلهيّة ومواطن القرب[1].

إذاً، خلقَ الله تعالى الإنسان من التراب، وشرّف طينته بأنْ عمل على إعدادها مدّة أربعين يوماً، حتّى أوجد فيه ـ بواسطة ذلك ـ أربعين حجاباً من مراتب أسمائه وصفاته، وبذلك صار حائزاً على مراتب الوحدة في عين الكثرة، وصار جامعاً بين نقطتي الأحديّة والواحديّة. ومع عين القرب والانمحاء والفناء في الذات البحتة والصرفة للحضرة الأحديّة، صار متّصفاً باجتماع الآثار المتكثرة ومجمعاً لصفات حضرة ربّ الأرباب. وبذلك، صار هبوطه مبرّراً، وأصبح لائقاً للورود في عالم المادّة والتوطّن فيه، ومع حفظ الربط والانتساب إلى الحضرة الإلهيّة فإنّ مراتب الكثرة والفعليّة تتحقّق فيه.

وتلاحظ هذه النكتة في مسألة تكامل العقلانيّة لدى الإنسان، وذلك بعد بلوغه سنّ الأربعين من العمر في عالم الدنيا، والقرآن الكريم يشير إلى هذه المسألة فيقول:

---

(١) **عوارف المعارف**، (ملحق إحياء علوم الدين)، ج٥، ص١٢٢.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[1].

تعتبر هذه الآية الشريفة أنّ بلوغ الإنسان مرتبة الرشد العقليّ والاستقامة النفسيّة في جادّة التدبير، ورعاية المصالح والمفاسد، إنّما يتحقّق في سنّ الأربعين من العمر. وبعد ذلك يأخذ الإنسان من تجاربه وذخائره السابقة، فيستفيد منها لاستكمال روحه وطيّ طريق السعادة والصلاح، دون أن يضاف إليه سعة وظرفيّة وعقلانيّة جديدة.

ولهذا يروي في **الخصال** عن الإمام الصادق عليه السلام فيقول:

إنّ العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة؛ فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عزّ وجلّ إلى ملائكته: إنّي قد عمّرت عبدي عمراً فغلّظا وشدّدا وتحفّظا، واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره[2].

أي إنّ العبد يقع محلاً لعفو مولاه ومغفرته حتّى سنّ

---

(١) سورة **الأحقاف**، ذيل الآية ١٥.

(٢) **الخصال**، أبواب الأربعين وما فوقه، ص٥٤٥، ح٢٤.

الأربعين؛ وحينما يبلغ هذا السنّ يوحي الله إلى الملكين «رقيب» و«عتيد» الموكّلين بأعماله وأفعاله. ويخاطبهما: إنّي قد عمّرت عبدي عمراً كافياً لكسب المعرفة، ووصوله إلى مرحلة بلوغه العقلي، فمن الآن ليس هناك تهاونٌ بالنسبة لضبط أعماله وأفعاله، شدّدا وغلّظا عليه واضبطا كلّ شيء يصدر منه كثيره وقليله.

وورد نظير هذه الرواية أيضاً في كتاب **الخصال** عن الإمام الصّادق عليه السلام:

إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشدّه، وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه[1].

وحيث أنّه لم يحصّل على استعداد الصلاح والهداية إلى سنّ الأربعين، فسوف يصعب عليه بلوغ مرحلة الفوز والسعادة؛ كما قد صرّح بذلك في كتب الشيعة، وكذلك في كتاب **إحياء العلوم** أنّه:

إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يثب مسح الشيطان وجهه بيده وقال: بأبي وجه من لا يفلح![2]

---

(١) **الخصال**، أبواب الأربعين وما فوقه، ص٥٤٥، ح٣٣.

(٢) **سفينة البحار** (مع اختلاف يسير)، ج٢، ص٣٣٢؛ و**إحياء العلوم**، ج٣، ص٢٨.

كذلك هناك رواية عن الإمام الرضا عليه السلام قد أوردها المرحوم الصدوق في كتاب علل الشرايع:

عن الحسين بن خالد قال: قلت للرّضا عليه السلام: إنّا رُوينا عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ من شرب الخمر لم تُحسب صلاته أربعين صباحاً. فقال: صدقوا، فقلت: وكيف لا تحسب صلاته أربعين صباحاً لا أقلّ من ذلك ولا أكثر؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى قدّر خلقَ الإنسان فصيّر النطفة أربعين يوماً، ثمّ نقلها فصيّرها علقةً أربعين يوماً، ثمّ نقلها فصيّرها مضغةً أربعين يوماً، وهكذا إذا شرب الخمر بقيت في مثانته على قدر ما خُلق منه، وكذلك يجتمع غذاؤه وأكله وشربه تبقى في مثانته أربعين يوماً[1].

ونستفيد من هذا البيان: أنّ عمليّة هضم المأكولات وجذبها في بدن الإنسان، واستفادة الأعضاء والجوارح منها، ثمّ مرحلة دفعها، كلّ ذلك يستغرق أربعين يوماً، وحيث أنّ وظيفة الكلية دفع المواد الزائدة عن حدّ الاستفادة وكذلك بعد الاستفادة، فإنّ هذه المواد بواسطة عمل الكلى

---

(١) علل الشرايع، ج٢، ص٣٤٥؛ وقد ورد نظير هذه الرواية فيما يتعلّق بأكل مال الحرام ولقمة الحرام.

تتجمّع في المثانة، لذلك يمكن أنْ يقال: إنّ الغذاء الذي يستفيد منه الإنسان، يتجمّع لمدّة أربعين يوماً في مكان واحد، ثمّ تتمّ عمليّة الجمع والدفع بشكل تدريجيّ؛ وعلى هذا الأساس، فإنّ الشخص الذي ما زالت آثار الخمر في بدنه سوف لا يقبل الله صلاته.

وكذلك نُقل نظير هذه الرواية في **جامع الأخبار** عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال:

من اغتاب مسلماً أو مسلمةً لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلّا أن يغفر له صاحبه[1].

وفي مقابل ذلك، فإنّ لهذا العدد تأثيراً معنوياً وملكوتيّاً في العديد من الحالات، وسوف تتمّ الإشارة إلى بعضها، فقد جاء في كثير من الروايات أنّه:

من قرأ الحمد أربعين مرّةً في الماء ثمّ يصبُّ على المحموم، شَفاه الله[2].

وكذلك في **الخصال** بإسناده المتّصل عن عبد الله بن مسكان عن الإمام الصادق عليه السلام يروي أنّه قال:

---

(١) **جامع الأخبار**، الفصل ١٠٩، ص١٧١.

(٢) **بحار الأنوار**، ج١٠٤، ص٦٢، ح٣٥.

إذا مات المؤمن فحضرَ جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا: اللهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً وأنت أعلم به منّا! قال الله تبارك وتعالى: إنّي قد أجزتُ شهادتكم وغفرت له ما علمت ممّا لا تعلمون[1].

وكذلك يروي في كتاب عدّة الداعي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال:

كان في بني إسرائيل عابدٌ فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أنّه مُراءٍ، قال: ثمّ إنّه مات، فلم يشهد جنازته داود عليه السلام، قال: فقام أربعون من بني إسرائيل فقالوا: اللهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً وأنت أعلم به منّا فاغفر له! قال: فلمّا غسّل أتى أربعون غير الأربعين الأُول وقالوا: اللهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً وأنت أعلم به منّا فاغفر له! فلمّا وُضع في قبره قام أربعون غيرهم فقالوا: اللهم إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً وأنت أعلم به منّا فاغفر له! قال: فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: ما منعك أن تصلّي عليه؟ فقال داود: بالذي أخبرتني من أنّه مُراءٍ، قال: فأوحى الله إليه أنّه شهد له قومٌ فأجزتُ لهم شهادتهم

---

(١) الخصال، أبواب الأربعين وما فوقه، ص٥٣٨، ح٤.

وغفرتُ له ما علمتُ ممّا لا يعلمون[١].

وكذلك يمكن أن نشاهد خصوصيّة آثار هذا العدد في المسائل الأخلاقيّة والآداب الشرعيّة والحقوق الإسلاميّة، كما يروي المرحوم الكلينيّ بإسناده إلى الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

حدُّ الجوار أربعون داراً من كلّ جانب: من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله[٢].

وفي رواية أخرى يروي عقبة بن خالد عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال:

قال أمير المؤمنين: حريم المسجد أربعون ذراعاً والجوار أربعون دارٌ من أربعة جوانبها[٣].

وأمّا على صعيد الأمور العباديّة والمسائل السلوكيّة

---

(١) **عدّة الداعي**، ص١٣٦.

(٢) **الكافي**، كتاب العشرة، باب الجوار، م٢، ص٦٦٩، ح١؛ وكذلك **وسائل الشيعة**، كتاب الحجّ، أبواب أحكام العشرة، باب ٩٠، م١٢، ص١٣٢، ح١.

(٣) **الخصال**، أبواب الأربعين وما فوقه، م٢، ص٥٥٤، ح٢٠؛ وكذلك **وسائل الشيعة**، كتاب الحجّ، أبواب أحكام العشرة، باب ٩٠، م١٢، ص١٣٢، ح٤.

والروحانيّة، وكيفيّة تأثير العدد في الارتقاء المعنويّ وكسب الفضائل الروحيّة، والعبور عن مقامات النفس، فهناك مطالب لا تسعها طاقة هذا الكتاب المختصر، ولكلّ من الفريقين آراء وأحاديث وإشارات تتعلّق بذلك، وسوف نشير إلى بعضها فيما يأتي.

ينقل في البحار عن تفسير عليّ بن إبراهيم، ... إلى المحلّ الذي يقول فيه:

أتى جماعة من اليهود إلى أبي طالب وقالوا: يا أبا طالب! إنّ ابن أخيك يزعمُ أنّ خبر السماء يأتيه، ونحن نسأله عن مسائل، فإنْ أجابنا عنها علمنا أنّه صادق، وإن لم يخبرنا علمنا أنّه كاذب، فقال أبو طالب: سلوه عمّا بدا لكم، فسألوه عن الثلاث مسائل، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: غداً أُخبركم، ولم يستثنِ، فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتّى اغتمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وشكّ أصحابه الذين كانوا آمنوا به ..[1].

والمراد بقوله «ولم يستثن»: أنّه لم يقل: إن شاء الله، لذلك فإنّ الله تعالى قطع الوحي عن رسول الله أربعين يوماً،

---

(١) بحار الأنوار، كتاب النبوّة، ج١٤، ص٤٢٣.

حتّى أصيب النبيّ بالغمّ وانكسار القلب، وأثّر ذلك على أصحابه فشكّوا فيه وبرسالته...

وهذه الرواية تفيد أنّه حتّى مع كون النفس المباركة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد وصلت إلى مرحلة الوحي، وتلقّي المعاني والحقائق الربوبيّة من قبل الله، إلّا أنّ حقيقة التوحيد وظهورها بتمام معنى الكلمة ـ بحيث يكون لها في عين انحفاظ هويّتها في مقام الجامعيّة والكثرة، انسجام وائتلاف كامل ـ لم تتحقّق بعد. فانقطاع الوحي مدّة أربعين يوماً، كان في الواقع تنبيهاً وإيقاظاً للنبيّ، كي لا يغفل عن الارتباط بالمقام الربوبيّ، ولا يسهو عن أنّ تلقّي الوحي بشكل مستمرّ إنّما يتنزّل من مبدئه وأصل منشئه، وأنّ إرادة الله سارية وجارية في جميع الظروف وكلّ العوالم الربوبيّة، وكي لا يصبح هذا الأصل ـ لا قدّر الله ـ كحالة عاديّة، ويكون هناك توقّع زائد على أصل العبوديّة، أو يشعر بالوساطة والشراكة مع الله، فمقام كبريائيّة حضرة الحقّ وغيرته وعزّته لا تجيز ذلك لأيٍّ كان من مخلوقاته، حتّى خاتم الرسل صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وبعد تحقّق هذا التنبيه وهذه التربية لحضرة النبيّ، وذلك بشكل انقطاعٍ للوحي، أصبحت هذه الحقيقة الرفيعة

والظريفة ـ التي لا توصف ولا تتصوّر ـ مشهودةً ومحسوسةً وملموسةً لحضرة النبيّ بشكل كامل وواضح وجليّ، وذلك بواسطة التكامل الحاصل في نفسه المباركة طيلة هذه الأربعين يوماً؛ ومن هنا عاد الوحي يتدفّق ثانية من سرّه المبارك، وبرز مجدّداً فيضان مطر الرحمة الإلهيّة على قلبه المنوّر، وتجدّد نزول المعارف الربوبيّة ولطائف أسرار عالم الغيب على روحه وسرّه، وهذا من خواصّ عدد الأربعين.

ونظير هذه المسألة ما نشاهده في قصّة النبيّ يونس عليه السلام، ففي سورة الأنبياء الآية ٨٧ و٨٨ يقول:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والمعنى: أنّ الله يأمر أن نعتبر من قصّة حضرة النبيّ يونس عليه السلام مع الحوت، وذلك حينما كان في حالة الغيظ والغضب من قومه، ثمّ تنحّيه عنهم، وزعمه بأنّ إرادتنا القاهرة ومشيئتنا المتقنة لا تناله ولا تصل إليه ـ وأنّ خصومتنا وغضبنا لا ينزل إلّا على أهل تلك المدينة وقومه ـ

لذلك وضعناه في بطن الحوت.. فذكرَ في تلك الظلمات الإلهيّة: أنّه لا معبود ولا مؤثّر في عالم الوجود غير ذاتك المقدّسة! فأنتَ منزّه عن كلّ حمدنا وثنائنا وشكرنا، وأرفع من كلّ أفكارنا وخيالنا ووهمنا وإدراكنا لحقيقة الذات المجلّلة، فنحن ندعوك ونطلب منك بأفكارنا ونيّاتنا الناقصة، وعقلنا الضعيف وحسب سعتنا الوجوديّة المحدودة، والحال أنّك أنت أشرف وأعلى ممّا تناله أوهامنا، ويدركه خيالنا، لذلك فنحن من الخاسرين، ونحن ظالمون لأنفسنا بنفسِ هذه التوهمّات.

فرحمناه واستجبنا له، وأخرجناه من غمّ عالم الاعتبار وكدورته وآلامه، وأدخلناه في عالم الحقائق وواقعيّة التوحيد، وأريناه سرّ هذه الحقيقة، وكذلك نفعل ونجازي كلّ المؤمنين والصالحين...

في هذه الحادثة، يكشف الله تعالى النقاب عن شيء من الأسرار التوحيديّة، وكيفيّة نفوذ مشيئته الذاتيّة، وتنزّلها في عالم الكثرات، ويبدي غيرته بالنسبة إلى إرادته المطلقة، والمستوية بين جميع مخلوقاته، من حيثيّة الارتباط والانتساب بالذات الربوبيّة؛ ويفصح عن عدم انحصار

الإرادة الذاتيّة ومشيئته، بقالب خاصّ أو أسلوب مخصوص أو عادة محدّدة، وإنّما ذات الحقّ الأقدس فعّال لما يشاء وحاكم بما يريد، وليس لأحد بل ولا لموجودٍ متشخّص أنْ يحدّده في قالبٍ خاصٍّ، أو أنْ يتوقّع منه أسلوباً وطريقةً خاصّة. ولم يكن حضرة النبيّ يونس عليه السلام قد بلغ هذه النكتة، بل كان يتوهّم طبقاً لحدسه وظنّه الخاصّ، أنّ المسألة ـ فيما يرتبط بقومه وأهالي بلدته ـ قد انتهت وتمّت.. وأنّه قد طبع عليهم ختم الزوال والهلاك، وكان يخال أنّ حالهم بلغ حدّاً جعلهم يتمرّدون على أوامر رسول الله تعالى المبعوث إليهم وينالون من دستوراته، وأصبح هو مورداً للطعن وعدم الاحترام والاستخفاف، وبالتالي فهم مستحقّون للعقاب والعذاب، وليس أمام الله إلا أنْ يلبّي طلبه، ويستجيب دعاءه بإنزال العذاب عليهم! وأنّه من الواجب الحتميّ أن يحلّ بالقوم أشدّ العذاب الذي يستحقّوه، وليس هناك سبيل آخر لله، ولا خيار لهؤلاء القوم وهؤلاء العباد.

لأجل ذلك، وضعه الله في بطن الحوت، وطبقاً لبعض الروايات، قد مكثَ النبيّ يونس عليه السلام أربعين يوماً في بطن الحوت، وكان مشغولاً بهذا الذكر المبارك: ﴿لَّآ إِلَٰهَ

﴿إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وببركة هذه الأربعينيّة، أزاحَ الله تعالى الستار عن ناظرَي النبيّ يونس، وأطلعه على واحدٍ من أسرار توحيده وتقديراته وإرادته.

ومن الممكن أن يطرأ السؤال لدى بعضهم من أنّه كيف يمكنُ لنبيّ مع كونه معصوماً لا يُحتمل منه صدور المعصية والخطأ أنْ ينبّهه الله ويذكّره بمثل ذلك؟

ولأجل توضيح هذه المسألة، يجب الالتفات إلى أنّ ما ذُكر عن عصمة الأنبياء عليهم السلام، وعدم وقوعهم في المعصية واجتنابهم عن الخطأ، مرتبطٌ بمقام الظاهر وعالم الكثرات وعلاقتهم مع الناس، وهو يعني: أنّه ينبغي أنْ لا يصدر من الرسول أيّ خلاف من ناحية عمله وفعله ومعاشرته مع الناس، وينبغي أنْ لا يرتكب أيّ معصية أو خطيئة، وكذلك ينبغي أنْ لا يخالف قولُه الواقعَ المتحقّق خارجاً؛ وبعبارة أخرى: لا بدّ وأنْ يكون النبيّ محفوظاً من الخطأ في ثلاث مراحل: تلقّي الوحي، وحفظه، وإبلاغه، فيكون مصوناً عن الخطأ والزلل في كلّ ذلك.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٣٩؛ وتفسير البرهان، ج٤، ص٣٧؛ وبحار الأنوار، ج١٤، ص٤٠٢.

وأمّا في ما هو أعلى من عالم الظاهر والمثال ـ أي عوالم الملكوت والسرّ والنفس والروح ـ فليس من اللازم أنْ يكون خالياً من أيّ نوع من القلق والتردّد أو إدراك الخلاف، فهذا غير ثابت، بل الثابت من خلال الشواهد والآثار العقلية والنقلية والشهودية هو خلاف ذلك، إذْ من الممكن أنْ يكون لنبيّ من الأنبياء مراتب عديدة، ومراحل متفاوتة تنتظره ـ بينه وبين حضرة ربّ العزّة ـ كي يصل إلى سرّ ديار المعبود؛ فبلوغ شخصٍ مرتبة النبوّة والرسالة ليس دليلاً على كماله وتماميّة جوانبه الوجوديّة، وهذه المسألة ملموسة ومحسوسة بوضوح، من خلال الآيات الشريفة والروايات الشيعيّة، وهذا المختصر لا يتحمّل التحقيق والبحث في ذلك.

هناك رواية ينقلها المرحوم **الكلينيّ** عن الإمام الباقر عليه السلام، بالنسبة لعدد الأربعين ومدخليّته في كيفيّة ارتقاء النفس ورشدها، وحصول فعليّة استعدادها، حيث يقول الإمام الباقر عليه السلام:

ما أخلصَ العبدُ الإيمانَ بالله عزّ وجلّ أربعين يوماً (أو قال: ما أجملَ عبدٌ ذِكرَ الله عزّ وجلّ أربعين يوماً) إلّا زهّده

الله عزّ وجلّ في الدنيا، وبصّره داءها ودواءها، فأثبتَ الحكمة في قلبه، وأنطقَ بها لسانه[١].

وكذلك في إحياء العلوم ينقل عن كتب العامّة فيقول:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما من عبدٍ يُخلص لله العمل أربعين يوماً، إلّا ظهرتْ ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[٢].

وقد ورد مثل هذه الرواية في كتب العامّة مع تغيير مختصر في كيفيّة تعبيرها. وعلى هذا الأساس فإنّ علماء الأخلاق ومربّي النفوس يرون أنّ «الأذكار الأربعينيّة» أحد الشروط المهمّة والأساسيّة للتكامل والسير إلى الله أثناء طيّ مدارج السلوك، ولا مناص للسالك عن ذلك ولا مفرّ له.

يقول المرحوم السيّد مهدي بحر العلوم رضوان الله عليه في رسالة السير والسلوك المنسوبة إليه:

وقد شاهدنا عياناً وعلمنا بشكل بيّن أنّ هذه المرحلة الشريفة من مراحل العدد لها خاصية وتأثير

---

(١) أصول الكافي، ج٢، ص١٦، ح٦.
(٢) إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٧٦.

متفردين، في ظهور القابليات وتتميم الملكات وفي طيّ المنازل وقطع المراحل. ومع كثرة منازل الطريق، إلا أن في كل منزل منها مقصداً؛ ومع زيادة المراحل، فإنّك إذا دخلت في هذه المرحلة فقد أتممت عالَماً[1].

كما أنّ زمن طيّ عالم الدنيا وظهور القابلية ونهاية التكميل في هذا العالم إنّما يتمّ في أربعين سنة، حيث ورد أنّ عقل الإنسان يكمل في سنّ الأربعين حسب قابلية ذلك الإنسان. والإنسان في نموّ منذ بدء دخوله في هذا العالَم حتى يبلغ سنّ الثلاثين، ثم إن بدنه يقف في هذا العالَم عشر سنين، فإن هو أتمّ الأربعين انتهى سفره في عالم الطبيعة، وبدأ سفره في عالم الآخرة، وفي كلّ يوم وفي كلّ سنة يطوي مسافة من ذاك السفر، ويحزم مقداراً من حمولته ويرحل عن هذا العالم. وتضمحلّ قوّته سنة بعد سنة، ويتناقص نور سمعه وبصره، والقوى المادّية في انحطاط، والبدن يسير نحو الذبول؛ حيث

(١) رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم، ص ٢٤.

إنّ مدّة سفره وإقامته في هذا العالم قد انتهت في أربعين سنة[١]...

وكذلك ورد في حديثٍ أنّ حدّ الجوار أربعون بيتاً من الجهات الأربع، وحين يتمّ هذا العدد كأنها انفصلت عن العالم. وتأويل ذلك في المناسبة والجوار من جهات القوى الأربعة: العقليّة، والوهميّة، والشهويّة، والغضبيّة. وما لم تبتعد هذه المراحل عن بعضها بأربعين مرحلة، فإنها لن تكون قد تخطّت عالمها خارجاً، وستكون مجاورة لبعضها البعض[٢].

والمرحوم والدنا، سماحة العلّامة السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه، له تذييل على هذه الفقرات في رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم حيث يقول:

إنّ مراد المصنّف أنّ الإنسان أسير لقوى أربع تحيط به من جوانبه الأربعة: القوّة العقليّة والوهميّة والغضبيّة والشهويّة، وما لم يبتعد عن كلٍّ منها أربعين

(١) م. ن، ص٢٥.
(٢) م. ن، ص٣٣.

منزلاً، فإنّه لن يصل إلى مقام الفناء في الله. ذلك أنّ مجرّد الخروج من مرحلة الشهوة مثلاً، لا يخرُج الإنسان من تلك المرحلة بتمام معنى الكلمة، لأنّ حقيقة مرحلة الشهوة تلك لا زالت كامنة في وجود الإنسان، وما لم يبتعد أربعين مرحلة عن المرحلة الأولى فإنّ آثارها لن تزول بشكلٍ كلّي، فالخروج من إحدى تلك المراحل بشكلٍ كلّي إنّما يتحقّق بالخروج عن تمام المراحل الأربعين اللاحقة، وبغير ذلك فإنّ الإنسان لن يكون قد خرج من تلك المرحلة بتمام المعنى، وقد يتعرّض بمجرّد طروء طارئ عليه للعودة إلى المرحلة الأولى. والأمر كذلك بالنسبة إلى عوالم العقل والغضب والوهم؛ فالمرء سيكون قد خرج حقّاً من مرحلة الغضب الأولى حين يخرج من مرحلة الأربعين وسيكون قد خرج حقاً من مرحلة العقل الخامسة حين يخرج من مرحلة الأربعين أيضاً، وهكذا عليه في كلّ مرحلة مُفترضة أن يتخطاها بأربعين مرحلة ليتخلّص منها تماماً[1]...

(١) م. ن، ص٣٣ في الحاشية.

انتهى كلام المرحوم الوالد قدّس سرّه.

ثمّ بعد ذلك يتابع المرحوم السيّد كلامه فيقول:

وعلى أية حال فإنّ خاصّية الأربعين في ظهور الفعليّة وبروز القابلية والقوّة وحصول الملكة أمرٌ مصرّح به في الآيات والأخبار، ومجرّب لدى أهل الباطن والأسرار، وهو ما أُخبر عنه في الحديث الشريف بأنّ حصول آثار الخلوص أي بنوع عين المعرفة والحكمة في هذه المرحلة. ولا ريب أنّ أيّ مخطوط طوى هذه المنازل الأربعين بأقدام الهمّة، وبلغ بقابليّات الأرض إلى فعليتها، فإنّ نبع المعرفة ستبدأ بالتدفق والفوران من أرض قلبه.

وتقع المنازل الأربعين في عالم الخلوص والإخلاص، أما منتهاها فعالَمٌ فوقَ عالَم المُخلَصين، وهو عالم: «أبيتُ عند ربّي يطعمني ويسقيني»، حيث إنّ الطعام والشراب الربّانيّين عبارة عن المعارف والعلوم الحقيقيّة غير المتناهية[1].

---

(١) م. ن، ص٣٧.

انتهى كلام المرحوم السيّد بحر العلوم رضوان الله عليه.

لأجل ذلك، سوف لا يخفى على أحدٍ أنّ لهذا العدد تأثير عجيب، وفعّالية لا تقبل الإنكار، في مسائل مختلفة وموضوعات متفاوتة ـ سواء في عالم الخلق والتكوين أم في موطن التربية والتشريع ـ وإن أردنا أن نتوسّع أكثر من هذا المقدار الذي بيّنا، وننقل ونشرح كلمات العلماء فيما يتعلّق بهذا الباب، ونسلّط الضوء على نتائجها، نكون قد ابتعدنا عن هدفنا وغرضنا.

الفصل الثاني

فلسفة ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ إحدى الشعائر البارزة والواضحة لدى الشيعة، بل وبعبارة أصحّ ينبغي أن يقال: إنّ أصل جميع الأصول والمباني الشيعيّة وركيزتها هو محبّة أولياء الدين الحنيف وتولّيهم، أي الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما جاء في الرواية المعروفة:

بُنيَ الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية؛ ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية[1].

أي: بُنيَ الإسلام على خمسة أركان ثابتة محكمة: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحجّ، وولاية أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، والحال أنّ الله المتعال لم يوص

---

(١) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ج٢، ح١ و١٣؛ وكذلك بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٢٩، ح١.

بشيءٍ كما أوصى بالولاية وأكّد عليها. وفي مضمون هذه الرواية ما يفوق التواتر.

إنّ حقيقة مدرسة التشيّع منحصرة في ولاية الأئمّة المعصومين عليهم الصلاة والسلام دون سؤال وجواب، والانقياد والإطاعة المطلقة لهم، وتجلّي هذه المدرسة وتبلور مبانيها إنّما يتحقّق بواسطة إحياء ذكرهم، وإبراز ألوان المودّة ومراتب المحبّة لأهل بيت الرسالة.

ففي مدرسة التشيّع يجب أنْ يكون حريم مقام الولاية وحدود منصب الإمامة مورد توجّه واهتمام بشكل كامل، وليس لأحد آخر ـ من أيّة طبقة كان ومهما كانت رتبته ـ أنْ يدخل في هذا الحريم ويرد فيه. فالتعاريف والتعابير التي تستعمل في بيان وشرح أحوال العلماء وزعماء الدين يجب أنْ تتغاير وتتمايز عن الكلمات والتعاريف التي نستعملها في مورد أئمّة الهدى عليهم السلام، تمايزاً وتغايراً ماهويّاً وبشكلٍ كلّي، والتساهل والتسامح في هذه المسألة ـ لا قدّر الله ـ سوف يوجب سخط وليّ نعمتنا وغضبه، ويحلل علينا نقمة الله المتعال.

إنّ تبيين مسألة إمامة المعصوم عليه السلام، وتميّزه عن

سائر الأفراد يجب أنْ يكون العنوان الرئيسيّ لشعائر التشيّع وأسسه، ويجب أنْ يبرهن على هذه المسألة بشكل واضح للجميع ـ سواء المسلمين أم غيرهم ـ بحيث يكون مقام الإمام المعصوم عليه السلام ومكانته أرقى من التفكّرات، وأعمق من سائر التصوّرات والتوهّمات البشريّة، وليس لأحد أنْ يقاس به، فالوصول إلى مرتبة الإمام عليه السلام ودرجته خارج عن طاقة البشر وقدرتهم، اللهمّ إلّا العدّة القليلة الذين أزاحوا الحجب الأنفسيّة الظلمانيّة والنورانيّة، واجتازوها بقدم راسخة وهمّة عالية، وعزم متين ومجاهدات مضنية، فسلكوا الطريق إلى الله، ووصلوا إلى مرتبة الولاية والتجرّد والفناء، والاندكاك في نفس الإمام عليه السلام، وهؤلاء هم الذين يطلق عليهم اسم العرفاء بالله وأصحاب الولاية والمهيمنين عليها، والحائزين على رتبة التجرّد المطلق والفناء في الله، وأمّا باقي الأفراد فإنّهم ماكثون في المراتب الأدون، وذلك حسب سعتهم الوجوديّة والإدراكيّة.

ففي مدرسة التشيّع كلّ شيء هو الإمام المعصوم، وفقط لا غيرا والحديث الشريف النبويّ: **إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**، ناظر إلى هذه الإشارة اللطيفة.

فكتاب الله الناطق ـ والذي يمثل تلك النفس المقدّسة والملكوتيّة للإمام المعصوم ـ مشيرٌ إلى بُعدَي القرآن الكريم، التعليميّ والتربويّ، وبدونهما سوف لا يُنتجُ التمسّك بالقرآن إلا الضياع والضلالة. والمشكلة التي يواجهها إخواننا من أهل السنّة هي الغفلة عن هذا الركن الحياتيّ، وإرخاء زمام أمور دينهم ودنياهم وإهماله، وإيداع مركبهم المتعثّر وسط العواصف وتحت نير أمواج الفتن العاتية، وسط دوّامة الدهر المرعبة. فتسليم زمام الدين وإيكاله إلى أمثال أبي حنيفة وغيره، وبالتالي إقصاء أئمّة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين، الذين جعلهم الله الهداة والأدلّاء للخلق دون غيرهم، سوف لن يثمر إلا العمَهَ والحيرة في أمور الدين والدنيا، وهذه القاعدة منطبقة على الشيعة أيضاً، فإذا انحرفنا عن هذا المسار ذرّة واحدة، وتكلّفنا وضعَ دستورٍ من تلقاء أنفسنا، وتبرّعنا بجعله تاركين مسير أهل بيت العصمة والطهارة ومعرضين عنهم، ونقضنا دستوراتهم وأوامرهم، وهجرنا تعاليمهم النورانيّة، واستبدلناها بالرغبات الشخصيّة والسليقة الذاتيّة، ورعاية المصالح الدنيويّة، حينئذٍ نتورّط ونسقط في الهلكة والخسران الذي ابتليت به سائر الفرق الإسلاميّة.

فقضية ثورة سيّد الشهداء عليه السلام، وشهادة هذا الرجل العظيم، قد أقيمت في الثقافة الشيعيّة بعنوانها الشعار الأبرز والأكثر حيويّة لفرز الحقّ عن الباطل وتمييزهما، وذلك في جميع المراتب والمراحل التكامليّة للإنسان، ولا مناص لأيّ شخص من الإنقياد لهذا الإمام واتّباع حركته في جميع مستوياتها وأنحائها، سواء قبل عاشوراء أم بعدها، لأنّ هذه الواقعة مع خصوصيّاتها وظروفها المحيطة بها، لهي حدثٌ استثنائيّ على امتداد تاريخ البشريّة، حيث صدرت وتحقّقت بواسطة أحد الأئمّة المعصومين عليه السلام، لا على يد أحد الأفراد العاديّين أو العلماء العاديّين.

فوجهة نظر الثقافة الشيعيّة بالنسبة إلى عاشوراء، تختلف عن جميع الرؤى الأخرى اختلافاً ماهويّاً وأساسيّاً، وعلى حدّ قول مولانا:

هر كسی از ظنّ خود شد يار من
وز درون من نجست اسرار من[1]

---

(١) هو الشاعر الجليل مولانا جلال الدين الرومي، والمعنى: كلّ شخص صار ناصراً لي ولكن حسب تخيّله وظنّه وعلى أساس مستوى تفكيره الشخصي، والحال أنّه ليس هناك أحد استطاع أن يدخل إلى باطني ويعرف الأسرار الموجودة في قلبي.

فمن منطلق الثقافة الشيعيّة، ليست مظلوميّة سيّد الشهداء عليه السلام كامنة في أنّ جماعة ممّن لا يمتّون إلى الله بِصِلة، أغاروا على عدّة من ذراري النبيّ وأولاده، وقضوا عليهم بحدّ السيف؛ كبارهم وصغارهم، وحتّى الطفل الرضيع لم يتركوه، ثمّ بعد استشهادهم أخذوا أهل بيت رسول الله وهم في حالة مفجعة، وطافوا بهم البلاد والشوارع أمام الملأ العام، وهم أسارى مكبّلون بالأغلال والسلاسل، وفعلوا ما أخجل صفحات التاريخ من ذكره!

بل إنّ مظلوميّة سيّد الشهداء في أنّه لم يطّلع أحدٌ على حقيقة هذه الحادثة وروحها وقلبها، فالجاهل العامّي أو العالم الخبير - جميعهم ودون استثناء - إنّما درسوا هذه الحادثة من خلال نفس معكّرة وروح غير صافية، وبيّنوها بواسطة أفكارهم الطفوليّة؛ فالعاميّ ينظر إلى هذه الحادثة على أنّها تقرح القلب وتفتّته، فيلطم على رأسه وصدره، ويقيم مأتم الأسى ويذرف الدمع لأجل هذه المصيبة. وبشكلٍ عامّ، تراه يثير النكات العاطفيّة والإحساسيّة لهذه الحادثة، ويستجلب عينه وأذنه وحواسّه نحوها، إلى الحدّ الذي لا يعود هناك مجالٌ آخر للتأمّل والتفكّر في الجهة

الحيويّة والأساسيّة لهذه الواقعة، وعلى هذا الأساس لا يبقى أيّ مجال لتبلور هويّة واقعة كربلاء، وبروز أهدافها التي كانت من أجلها.

إنّ تحليل تاريخ عاشوراء ودراسته بعنوان أنّه حقبة تاريخية تحاكي واقعة عاطفيّة محزنة، ومؤلمة ألماً ظاهريّاً، بحيث يكون في هذا الجانب ابن رسول الله مع أهله وعياله الغرباء، وقليل من أصحابه وأنصاره المخلصين، ومن الجانب الآخر هناك يزيد الخبيث وجيشه المتكاثرون.. عبيد الدنيا، الغادرون الآثمون، ولم يكتفوا بمحو دين رسول الله وإطفاء مدرسة الولاية فحسب، وإنّما جاؤوا لقتل شخص الإمام وأهل بيته وسلبهم ظلماً وعدواناً، دون أيّة مسامحة ولا صفح اتجاه ذاك المعتدى عليه البريء والمنزّه عن اقتراف أيّ ذنب في كلّ وجوده.

فمهما كانت واقعة عاشوراء فظيعة، ومهما بلغت جنايتها ووقاحتها؛ فقد مضت وانصرمتْ على كلّ حال، وأيّة فائدة وأيّ نفع في إقامة المآتم والبكاء على أمرٍ قد مضى على زمن وقوعه مئات السنين، وأيّ حاجة تُبتغى جرّاء هذه المآتم؟ وهل كانت جميع هذه التأكيدات المتواترة

والأوامر الكثيرة، الصادرة من الأئمّة المعصومين عليهم السلام في إقامة مجالس العزاء وذكر مصيبة سيّد الشهداء وأميرهم، والبكاء عليه وعلى أهل بيته المظلومين، هل كان كلّ ذلك لمجرّد البكاء على أمرٍ مضى؟! أو أنّ المقصود هو شيء آخر؟

ولذا ومع كامل الأسف، نشاهد كيف جرتْ عليه العادة في هذه الأيّام من الرثاء والعزاء، وذكر مصيبة أبي عبد الله الحسين أرواحنا له الفداء، حيث أنّها خرجت عن صورتها المنطقيّة والعباديّة، وانحرفت صوبَ الأغراض الاعتباريّة والوهميّة الدنيويّة. فهدف القرّاء والنادبين وغايتهم متمركزة حول إيجاد المؤثّرات والإثارة، وإحداث البريق وجلب التوجّه الظاهريّين لهذه المصائب، وتهييج عواطف الناس وخاصّة طبقة الشباب، بأيّة وسيلة وبأيّ تعبير وبأيّ نحو من أنحاء لفت النظر واستجلاب الطرف الآخر، وكلّما كان القارئ موفّقاً في ذلك بشكل أكبر كان مرغوباً به أكثر! ولو تجرّأنا قليلاً على أنفسنا، وقارنّا بين هذه المجالس وسائر المجالس العاديّة، فينبغي أنْ نقول: إنّها أشبه بالأعمال المسرحيّة والفنونيّة! ولا تليقُ بمجالس معقودةٍ لبيان منزلة

إمامٍ معصومٍ عليه السلام، ولا تتناسب مع شأنه، فالهدف من هذه الأمور مجرّد البكاء بشكلٍ أكثر واللّطم على الرأس والصراخ والعويل بشكل أزيد.. لا غير!

وكأنّ صاحب العزاء والمصيبة محتاج إلى بكائنا وعويلنا بهذا الشكل وبهذه الكيفيّة! وكأنّنا بذلك نخرجه من غربته، ونضفي على قامته لباس العزّ والاقتدار! ونمحو مظلوميّته ونجلوها، ونعلن له أنْ: يا حسين! إنْ كنت وحيداً في كربلاء دون ناصر ولا معين يدافع عنك وعن حرمك أمام ذئاب الفلوات، فتعالَ وانظر إلى هذا الجمع من العشّاق والوالهين كيف يصرخون في عزائك ويلطمون على رؤوسهم ويذرفون الدموع وقلوبهم تحترق عزاءً لك!

فسيّد الشهداء عليه السلام بناء على هذه الرؤية، هو شخصٌ مظلومٌ ومغلوب عليه، لأنّ جيش يزيد واجهه بقسوة وشدّة، ولو قابله جيش يزيد بنحو آخر مثلاً: (كأنْ لم يمنعوه من شرب الماء العذب، ولم يرموا طفله الرضيع بالسهم ظلماً ولم يقتلوه، أو أنّه بعد شهادته لم يغيروا على حريمه وخيامه ولم يحرقوها بالنار، أو أنّهم لم يكبّلوا أهل بيته بالأغلال والسلاسل، ولم يسوقوهم في الصحاري بتلك

الصورة الفجيعة و. . .) فلم يكن هناك أيّ مسوّغ أو سبب لهكذا نحوٍ من العزاء والرزيّة؛ تماماً كما أنّه لا يقام هكذا عزاء لأجل بقية أئمّة الهدى عليهم السلام كالإمام الحسن المجتبى وحضرة السجّاد وغيرهما، حيث ينتهي المجلس في مناسباتهم بشكل عاديّ ولا يتعدّى التعزية العاديّة. لأجل ذلك يتّضح جليّاً أنّ كلّ هذه الحماسة والعواطف، وإبراز الغمّ والحداد على سيّد الشهداء عليه السلام إنّما هو لأجل ملاحظة كيفيّةٍ استثنائيّةٍ ترجع إلى طبيعة شهادته، دون ملاحظة أصل مراتب الإمامة، والظلم الواقع على الإمام عليه السلام من حيثيّة نفس إمامته وولايته، كسائر أئمّتنا عليهم السلام.

نعم بالطّبع، لا يمكننا تحميل هذه الحقيقة على العوامّ ومواجهتهم بها، لأنّهم غير محصّنين بالمعارف والأصول الاعتقاديّة للإسلام بشكل عميق، ومن الطبيعي أنّهم يواجهون هذه المسائل وهذه الحوادث التاريخيّة من خلال أحاسيسهم وعواطفهم المنسجمة مع رؤيتهم.

وفي مقابل النظرة العامّية، هناك الرؤية التنويريّة ـ حسب الاصطلاح الشائع والخاطئ ـ بالنسبة لأبي عبد الله

عليه السلام، وهي وجهة النظر التي تحصر جميع استعداد الإمام عليه السلام وقابليّته وشخصيّته، وحالاته ومراتبه الكماليّة، وفعليّاته في خصوص المبارزة مع الظلم ومقارعة الجور لدى البلاط الملكيّ والإمبراطوريّ لبني أميّة، وبالخصوص يزيد الآثم؛ وعلى هذه الرؤية تتوجّه الأنظار إلى خصوص شخصيّة الإمام عليه السلام وحاله فحسب. ولو أردنا أن نقيّم هذه النظرة من جهة ملاحظة سائر جوانب الإمام عليه السلام وكمالاته، فيجب أنْ نعطي لجميع أبعاده الوجوديّة عشرة بالمائة فقط، ونترك لحيثية مبارزة الإمام ومواجهته للحكومة الأمويّة الجائرة التسعين بالمائة، وعلينا أن نتعامل مع شخصيّة هذا الإمام على أنّه شخصٌ مناضل ومكافح، ومعارض للظلم والفساد، تماماً كسائر الأفراد الذين جاؤوا وجاهدوا طوال التاريخ، مثل: كاوه آهنكر ويعقوب ليث وجاندارك وإقبال وغاندي وغيرهم.. ممّن غلب عليهم صفة الكفاح ضدّ الفساد، والنضال لقلع ظلم الحكّام واقتلاع جبابرة زمانهم.

ومن وجهة نظر هؤلاء، سوف يكون الإمام عليه السلام ـ سواء سيّد الشهداء أم أيّ إمام آخر ـ مجرّد مجاهد ضدّ النظم الجائرة لا أكثر، وعليهم أنْ يستقرئوا ويتتبّعوا مواقفه الجهاديّة

والنضاليّة، لمعرفة مواقف الإمام المشرقة، وإذا ما قصّرت صفحات التاريخ في سردها لهذا الجانب أثناء تأريخ حياة الإمام، أو أنّه لم يُصر إلى إبرازها بشكل جليّ وواضح، فسيتمحّلون لصقلها وصياغتها، ويُتعبون أنفسهم ليثبتوا للعوامّ أنّ شخصيّة الإمام شخصيّة ثورويّة، وذلك كي لا يتأتّى الإشكال ولا يتوجّه الإيراد ـ لا قدّر الله ـ على أصل إمامته وولايته وزعامته فيما لو خلتْ من حيثيّة المبارزة!

بناءً على هذه النظرة، سوف يكون هناك فارقٌ شاسع بين الأئمّة عليهم السلام من هذه الجهة شدّة وضعفاً، وستختلف شخصيّة سيّد الشهداء عليه السلام مع أخيه الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام اختلافاً ملحوظاً، ونعوذ بالله، بناء على هذا سوف يتوجّه النقص إلى سبط رسول الله الأكبر، بل من الممكن أنْ تقع إمامته تحت السؤال والاستفهام!!

وهذه النظرة كانت موجودة حتّى في زمان نفس الإمام المجتبى عليه السلام، وقد تعرّض إلى سهام الاعتراض والتعابير القبيحة والمدهشة بعد صلحه مع معاوية، وذلك من أقرب أصحابه.

لاحظوا مظلوميّة هذا الإمام! كيف أنّه كان مضطرّاً للدفاع عن هدفه ومنهجه إلى الاستعانة بالحديث النبويّ القائل: **الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا!** ليردّ عن نفسه، ويخلّصها من رميهم بسهام التهمة، وليبعد نفسه عن دائرة السبّ والتشنيع، وهو ما قد صدر من أصحابه وأتباعه القريبين[1].

---

(١) من جملة المعترضين على الإمام عليه السلام: سليمان بن صُرد الخزاعيّ وحجر ابن عديّ وسفيان بن أبي ليلى وأبي سعيد عقيصا، وقد ذكر ذلك في **بحار الأنوار**، ج٤، ص٢٩؛ وكذلك **مناقب آل أبي طالب**، ج٤، ص٣٥؛ وكذلك **الإمامة والسياسة** و**الأخبار الطوال** و**مقاتل الطالبين** و**رجال الكشّي**.
وفي **علل الشرايع**، ج١، ص٢١١؛ يقول:
... عن أبي سعيد عقيصا قال: قلت للحسن بن عليّ بن أبي طالب: يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحقّ لك دونه وأنّ معاوية ضالّ باغ؟ فقال: يا أبا سعيد ألستُ حجّة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام؟ قلت: بلى، قال: ألست الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى قال: فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذ لو قعدت، يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبيّة، أولئك كفّار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل (أي بولاية المعصومين=

ولو تجاوزنا عن كلّ ذلك، فحيث أنّ هذه المسألة جارية ومنطبقه على آخر قائدٍ وإمام لنا، بقيّة الله الأعظم أرواحنا فداه، ومندرجة عليه طوال ما يزيد على الألف سنة من عدم المواجهة والمبارزة، فيجب أن يدّعى بأنّ الإشكال والاعتراض متوجّه عليه أكثر من باقي الأئمّة؛ وينبغي أنْ يقال: إنّه لم يقم ـ نعوذ بالله ـ بمهام الإمامة والقيادة طوال هذه القرون المتمادية والعصور المترامية!

هذه الرؤية نظير الرؤية الأولى ناشئة من الجهل وعدم

= وإمامتهم عليهم السلام) يا أبا سعيد إذا كنتُ إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً (سواء تعلّق رأيي بالمصالحة والمهادنة أم الحرب والمكافحة مع أهل الباطل والضلال) ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله، لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا، سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل.

وكذلك في **تاريخ الخلفاء** ص ٧٤، حيث يذكر:

وكان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين، فيقول: العار خير من النار.

وقال له رجل: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال: لستُ بمذلّ المؤمنين ولكنّي كرهت أن أقتلكم على الملك.

معرفة حقيقة الإمامة، فهم ينظرون إلى أمرٍ هامّ بهذه الخطورة بالعين الحولاء والعليلة، وكأنّ الإمام شخصٌ عاديّ، فهم يقيسون الإمام على أنفسهم، وينزّلون مشاعر الإمام ومدركاته على حدّ مدركاتهم الشخصيّة ومشاعرهم... نعوذ بالله من الجهل والضلالة والبُعد والغواية.

هؤلاء الجماعة، لا يعلمون أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان إماماً.. إماماً معصوماً قبل إيجاد حادثة كربلاء، وأنّ قيمة تاريخ عاشوراء إنّما تتحقّق بحضور إمامٍ معصوم فيها، دون أيّ شخص عاديّ، مهما كان بالغاً من مراتب العلم والتقوى والتقرّب، وبعبارة أخرى: هذا الإمام المعصوم هو الذي يعطي لحادثة عاشوراء عزّتها وشرفها واعتبارها وهويّتها الخاصّة بها، لا أنّ عاشوراء هي التي قد شرّفت الإمام عليه السلام، وأضافت عليه العزّة والكرامة. ولو كان في هذه الواقعة العظيمة شخصٌ آخر، مهما كانت هويّته ومهما رفعتْ شخصيّته، بحيث يكون زمام أمور هذه الواقعة بيده، وتكون إدارتها على عهدته، فسوف لن تكون عاشوراءُ عاشوراءَ، بل هي حادثة كسائر الحوادث، وواقعة كسائر أخواتها ممّا لا يحصى في التاريخ، والتي حصل فيها ظلمٌ

من جماعة ظالمة جانية، فتغلّبوا على فئةٍ أخرى مظلومة ومهزومة ومنكوبة.

من هنا، حيث نستكشف أنّه ينبغي عدم قياس حادثة عاشوراء على غيرها من الوقائع، ولا نستعمل ـ لا قدّر الله ـ التعابير التي توحي بوجود نوع من الاتحاد أو المشابهة بين واقعة عاشوراء وغيرها، ولا نتخطّى الحدود التي وضعها لنا الأئمّة المعصومون عليهم السلام.

فمع هذا التصوّر غير المناسب والمخطئ بالنسبة للساحة المقدّسة لحضرة مولى الكونين أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فإنّ حقيقة الإمامة وشؤونها قد انمحقت ونُسيت بشكلٍ كاملٍ وبتمام معنى الكلمة، ولم يعد هناك أيّ معنى لكيفيّة رابطيّة الإمام مع المبدأ الأعلى، ووساطته بين ذات الحقّ المتعالي وسائر مخلوقاته، (من المبدعات والمجرّدات حتّى عالم الطبع والمادّة)، وتدبيره التكوينيّ في نفوس جميع الأشياء، ولكون قوام حياة الأشياء الملكيّة والملكوتيّة متقوّم بنفس هذا الإمام القدسيّة، وأنّه به يتمّ إيصال كلّ مراتب التعيّنات إلى أصلها وحقيقتها تكويناً وتشريعاً وواقعاً، فمع هذا التصوّر الخاطئ سوف يطرح كلّ ذلك في دائرة النسيان.

فالإمام عليه السلام قلب عالم الإمكان، وسرّ حقيقة تنزّل الفيض الإلهيّ في عوالم ما دون ذات الحقّ، فالمشيئة والتقدير الإلهيّين ساريان وجاريان في جميع العوالم، بواسطة نفس الإمام عليه السلام، فهو يقوم ويثور حيث تتعلّق إرادة الحقّ بالقيام والثورة، حتّى وإنْ لم يكن معه ناصر ومعين، وحيثما تتعلّق إرادة الحقّ بالسكوت والسكون فإنّه لا يبدي أيّ نظر آخر أو رأي معاكس، حتّى وإنْ كانت جميع الخلائق سائرة خلفه ومنقادة ومطيعة له؛ فهو قد تجاوز عن نفسه وذاته، واتّحد مع الحقّ، ولم يبقَ لديه أيّ رأي من نفسه، ولا أيّ فكر خاصّ، وليس هناك أيّ خطور يساوره في مخيّلته غير إرادة الحقّ ومشيئته، ففعله فعل الحقّ، ولا مجال للإعتراض أو الاستشكال على فعل الحقّ.

إنّ سكوت الإمام المجتبى عليه السلام هو محلٌّ لرضى الحقّ وإرادته بنفس درجة ثورة سيّد الشهداء عليه السلام، دون أيّ اختلاف أو تفاوت ولو بمقدار رأس إبرة، ولو كان الأمر غير ذلك فسوف يكون فعل الله قبيحاً وشنيعاً، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وما لم يصل الإنسان إلى هذه الحقيقة، سوف يبقى في حال الشكّ والترديد والاضطراب

والاعتراض، ويظلّ يُبرز الإشكالات الواهية والتافهة اتّجاه الإمام المعصوم عليه السلام. وسيصدر منه في كلّ مناسبة أو ظرف حكمٌ خاصّ (وذلك حسب الحوادث والظروف المختلفة سواء كان ذلك مناسباً أم غير مناسب)، كلّ ذلك حسب مقتضى فهمه الناقص، وطبقاً لتوهّماته وتخيّلاته بالنسبة لفعل الإمام عليه السلام، وسيظلّ متوزّطاً بالشعور بالتناقض والتضادّ كلّما واجه موقفاً مشابهاً لتلك المواقف المختلفة والحيثيّات المختلفة.

ومن هنا نصل إلى هذا الحديث الشريف النبويّ القائل:

الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا.

فالثقافة الشيعيّة الأصيلة تقتضي أنْ يعرف الإنسان إمامه أوّلاً، ثمّ بعد ذلك يتأمّل في أفعاله وسلوكه، ولذلك نرى أنّ الكثير من كبار المعاصرين لزمن الإمام عليه السلام، كأخيه المكرّم محمّد بن الحنفيّة أو عبد الله بن جعفر الطيّار وأمّ سلمة زوجة رسول الله، والتي كان راضياً عنها صلّى الله عليه وآله وسلّم وغيرهم، كانوا يحذّرون الإمام من الخروج والقيام! إلّا أنّ الإمام لم يكن ليتلفت إليهم ولم يعتنِ بنصائحهم وتوصياتهم، وكذلك الحال بالنسبة لولد الإمام

السجّاد عليه السلام حضرة زيد بن عليّ بن الحسين، حيث صدر منه ما يشابه ذلك، حيث كان الإمام الباقر عليه السلام قد نهاه عن الثورة ضدّ بني مروان، إلّا أنّه لم يقبل، ثمّ اتّهمَ الإمامَ بالخوف، ورماه بعدم الجرأة على مواجهة ظلم الخلفاء وجورهم، وفي النتيجة، وبعد صراع مرير بينه وبين جنود بني مروان في ضواحي الكوفة، استشهد وبقي جسده معلّقاً أربع سنوات فوق المشنقة[1].

فلو كان من المقرّر أنْ تكون وظيفة الإمام هي الحثّ بشكل دائم على الجهاد ومعارضة الظلم، فلماذا لم يقم الإمام الباقر عليه السلام بذلك! ولو كان المفترض أن يكون شعار سيّد الشهداء وبرنامجه التربويّ والدينيّ والاجتماعيّ هو الثورة والمواجهة مع الظلم، فلماذا رضخَ لمدّة عشر سنوات في وقت حكومة معاوية الخبيث لعنة الله عليه ولم يعلن الحرب عليه؟!

وإنْ قيل: لمْ تكن الأحوال والشروط الاجتماعية مهيّئة للقيام والثورة آنذاك، فيجب أن يُستنتج أنّ: إرجاع الفرق بين الإمامين إلى طبيعتهما ووضعيّتهما الذاتيّة لهو اشتباه

(١) أصول الكافي، ج١، ص٣٦٥، ح١٦.

كبير، وذلك بأنْ يدّعى أنّ أحدهما طالبٌ للصلح والسكون والسكوت ذاتاً وفطرةً، ثمّ ننظر إلى الآخر على أنّه ثائر ومجاهد ومعارض، هذا النوع من التفريق خطأ فادح واشتباه كبير ومرفوض، وهو ناشئ من الجهل وعدم العلم بحقيقة الإمامة والولاية؛ وحسبما يقول **مولانا جلال الدين البلخيّ**:

كار پاكان را قياس از خود مگير
گرچه باشد در نوشتن شير شير
جمله عالم زين سبب گمراه شد
كم كسى ز ابدال حقّ آگاه شد
همسرى با انبياء برداشتند
اولياء را همچو خود پنداشتند
اين ندانستند ايشان از عِمى
هست فرقى در ميان بى منتها
هر دو گون زنبور خوردند از محلّ
ليك شد زان نيش وزين ديگر عسل
هر دو گون آهو گيا خوردند وآب
زين يكى سرگين شد وزان مشك ناب

هـــر دو بِـــى خـــوردنـــد از يـــك آب خـــور

ايـــن يـــكـــى خـــالـــى وآن ديـــگـــر شـــكـــر

صـــد هـــزاران ايـــن چـــنـــيـــن اشـــبـــاه بـــيـــن

فـــرقـــشـــان هـــفـــتـــاد ســـالـــه راه بـــيـــن[1]

---

(١) مثنوي معنوي، الدفتر الأوّل. والمعنى:

لا تقس عمل الصلحاء الأطهار على نفسك، فالمشابهة بينك وبينهم ليست إلا مشابهة ظاهريّة فحسب، ولا تتعدّى الاشتراك اللفظيّ فقط والحال أنّنا من حقائق مختلفة ومتفاوتة.

فجميع العالم قد وقعوا في الاشتباه والضلال لوجود هذه المشابهة بينهم وبين الصلحاء، والقليل النادر من رجال الغيب والأبدال هم الذين وفّقوا ووصلوا إلى هذه الرتبة من المعرفة والتمييز.

فنتيجة مقايسة أنفسهم على الصلحاء أنْ أصبحوا يخال لهم أنّهم في رتبة واحدة مع الأنبياء!

فهم لم يعرفوا لأنّهم عمي القلوب، فالفرق بينهما إلى ما لا نهاية.

فهناك نوعان من النحل أحدهما يلدغ والآخر يجني العسل، والحال أنّهما يتغذّيان من مكان واحد.

وكلا الغزالين (المذكر والمؤنّث) يأكلان من عشب واحد ويشربان من ماء واحد، ولكن أحدهما لا يخرج منه إلا الروث ذو الرائحة الكريهة، وأمّا الآخر فإنّه يستخرج منه عطر المسك الخالص.

وكلّ القصب يسقى من ماء واحد، ولكن هذه القصبة خالية وتلك تعطي السكّر!

فمئات الآلاف من قبيل ذلك ممّا هما متشابهان، والحال أنّه بينهما سبعين سنة من الفَرْق والاختلاف.

يكمن اشتباهنا في أنّنا نأتي ونقايس فعل الإمام المعصوم على عملنا العاديّ المملوء بالغلط والخطأ، ونتصوّر أنّه مادام الإمام قد ثار في مرحلة معيّنة وضمن شرائط خاصّة، فإنّ فعلَ ذلك سائغ لنا أنّى شئنا! وكذلك لو سكت أو هادنَ في ظرف معيّن فإنّه يجب علينا أن نسكت بشكل دائم! أو أنّه لو صرّح بمطلب أو قضيّة معيّنة في مرحلة من المراحل فنستنتج جواز إرسال ألسنتنا بها، أو التصرّف كما تصرّف هو حسب رغبتنا وذوقنا، وقد نسينا كلام المعصوم حينما قال: **لا يقاس بنا أحد**[1].

فسيّد الشهداء لا يُحدّد ولا يُعرّف بخصوص حادثة كربلاء، فحادثة كربلاء واحدة من آلاف الآلاف من ظهوراته وانعكاساته، وواقعة كربلاء مع جميع أبعادها الواسعة وعظمتها ومستوياتها الكامنة فيها والتي لا يرقى إليها الخيال ولا التصوّر، إلّا أنّها بالنسبة لمنصب الإمامة والولاية،

---

(١) وردت هذه الرواية في كتب الفريقين؛ ففي كتب الشيعة وردت في كتاب **علل الشرايع وعيون أخبار الرضا** عليه السلام **ومعاني الأخبار والاختصاص وكشف الغمّة** وبعض الكتب الأخرى، وعند أهل السنّة فقد وردتْ في **ذخائر العقبى وكنز العمال وتاريخ دمشق وينابيع المودّة للذوي القربى**.

وبالقياس إلى شؤون واحدٍ من الأئمّة المعصومين عليه السلام ومهامه لهي يمٌّ من محيط، وقطرة من بحار رحمة الإمام عليه السلام وفيوضاته.

فلو كان لدى الإمام الحسين عليه السلام أفكارٌ تشابه أفكارنا، وأسلوبٌ نظير أساليبنا وممشانا، لعمد إلى البقاء في مكّة المعظّمة حينما سمع أنّ يزيد قد بعث إليه بعدّة أفراد ليغتالوه ويقتلوه[1]، ولظلّ في مكّة، ولحوّل استشهاده إلى ملحمة يهدر فيها دمه في الحرم الإلهيّ، وداخل بيت الله الحرام، حتّى يكون ذلك مدعاة لإبراز قباحة شخصيّة يزيد الآثم ووقاحته، بشكل أوضح وصوت أعلى، ولكي تدوّي صرخته وتملأ كلّ العالم معلناً للملأ: أنّ هذا السفّاك والمجرم المحترف! قد بلغ من الوقاحة والسفالة أنْ أقدم على سفك دم ابن رسول الله حتّى وإنْ كلّف ذلك هتك الحرم الإلهيّ الآمن وتدنيس مهبط الوحي، دون أن يتورّع عن شيء من العدوان والجور.

ولكن ينبغي الالتفات إلى أنّ سيّد الشهداء ـ قبل كلّ

---

(١) نفس المهموم، ص١١٦٣ وكذلك مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم، ص١٦٥.

شيء ـ هو إمام، فهو أحد الأئمّة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا. فحفظ بيت الله الحرام واحترامه، وقداسة حريم الكعبة المعظّمة وحرمها أهمّ من هذه الغاية وأثمن، فهو في كلّ موقف أو ردّة فعل يرى الله أوّلاً ويرى الله آخراً، على عكسنا نحن حيث إنّنا نتوجّه إلى أنفسنا أوّلاً، ونراعي مآربنا وشخصيّتنا، ثمّ بعد ذلك نُلبسُ أفعالنا وأعمالنا ورغباتنا بثوب إلهيّ، ونجعل الله عنواناً وملاذاً لنيل أغراضنا وشؤوننا الشخصيّة. فانظر وتأمّل كم يتفاوت هذا الممشى مع ذاك!

وكذلك حضرة الإمام المجتبى عليه السلام، الذي أوصى أخاه سيّدَ الشهداء عليه السلام: أنْ لا يريق قطرة دم في تشييعه[1]، وهنا يتجلّى الفرق بين الإمام عليه السلام وغيره من سائر الأفراد.

وعلى هذا الأساس، سوف ترتدي حادثة كربلاء ثوباً آخر وتبدو من خلال بعدها الأعمق، لتمتاز بذلك عن سائر

---

(١) حيث جاء في وصيّة الإمام الحسن لأخيه الإمام الحسين عليهما السلام: «وبالله أقسم عليك أنْ لا تهريق في أمري محجمة من دم»، **الإرشاد** للشيخ المفيد، ج٢، ص١٧؛ وكذلك **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٠٢ وغيرهما.

الوقائع المشابهة وتتفاضل عليها، فهي حادثة لها خصوصيّاتها المقترنة بها دون غيرها، فالذي قادها وتزعّمها هو أحد الأئمّة المعصومين عليه السلام؛ إمامٌ يمثّل الظهور التامّ للأسماء الإلهيّة الكلّية، سواء في أنفاسه أم كلامه أم سلوكه أم أيّة خطوة يخطوها، وهو في جميع مظاهره مجلىً لظهور الذات السرمديّة للحقّ تعالى، ويجب أنْ يُتّخذ قدوة وأسوة إلى أبد الآبدين، لأنّه تجسيمٌ للربوبيّة، وتجسيد لها، وعلى العبد أنْ يطيع الله وينقاد إليه، ولذا فحادثة عاشوراء أسوة وقدوة ولكن لا في خصوص المواجهة والثورة والحرب فقط، بل في كلّ شيء وكل لحظاتها وكلّ دقائقها، وفي جميع أطوارها وأحداثها.

يجب أنْ نشاهد ونتأمّل حياة سيّد الشهداء في كلّ أطوارها؛ من زمن طفولته، وفي مرحلة الشباب والفتوّة، والمرحلة التي كان فيها مع أخيه الأكبر حضرة الإمام الحسن عليه السلام في المدينة، وفي عهد حكومة معاوية الجائرة، وبعد ذلك حتّى لحظة استشهاده، فيجب دراسة كلّ ذلك، ولا بد من التأمّل فيه والتدقيق به على نسقٍ واحد وأنّه سياق واحد تماماً.

ولذا نرى أنّ جميع المعصومين عليهم السلام قد تكلّموا

عن واقعة عاشوراء، وأوصوا الشيعة وأكّدوا عليهم وبشكل بليغ أنْ يحيوا هذه الواقعة العظيمة، والتي لا ثاني لها تاريخيّاً ولا مثيل، والحال أنّه منذ الصدر الأوّل للإسلام حتّى ذاك الزمان وما بعده، قد اتّفق وقوع العديد من الحوادث المشابهة لها من ناحية مقارعة الكفّار والمشركين، أو معارضة الحكّام ومواجهة خلفاء الجور، قام بها العديد من الأفراد، حتّى نالوا الشهادة في هذا الطريق، إلّا أنّه لا يزال هناك تفاوت وتمايز بين ما ورد في حقّ أنصار هذه الواقعة وغيرهم.

فالذي ينبغي أنْ يُلتفت إليه في هذه الثورة ـ وحسبما يبدو من تلك الرؤيتين السابقتين أنّهما قامتا بإهماله وبالغفلة عنه ـ هو السبب الكامن وراء هذه الثورة وعلّة هذه النهضة؛ فالرؤية الثانية قد سلّطت الأضواء ـ أكثر من كلّ شيء بحيث أدرجت جميع المسائل الأخرى والمباني الفكريّة والاعتقاديّة تحت هذا المنطلق ـ على جانب المبارزة والمواجهة مع الظلم والجور الناشئين من الحكومة الجائرة لبني أميّة، وبالتالي رفض خلافة يزيد؛ وجعلت ذلك أصلاً لهذه الثورة وهدفاً وملاكاً لها. وأمّا بناءً على وجهة النظر

المحقّة والتفسير الصحيح لهذه الثورة، فإنّ مسألة المعارضة مع خلافة بني أميّة الجائرة ومواجهتها، لهي مقدّمة ومعبر للوصول إلى إقامة شعائر الدين وإحياء السنن، وإعلاء راية التوحيد والمعرفة.

فغرض الإمام عليه السلام الأصليّ وهدفه، هو إحياء الأحكام المنسيّة والقوانين المهملة من سنّة جدّه وأبيه، دون أيّ شيء آخر! وليس لأيّ سبب آخر.

إن غرض الحكومات الجائرة والغاصبة والمتلبّسة بظاهر الإسلام - مثل الخلفاء الثلاثة وبني أميّة وبني مروان وبني العبّاس - وهمّها وأقصى هدفها التوسعة وإحكام النفوذ في البلاد، والفتوحات والاستيلاء على أموال الرعايا وأرواحهم وأعراضهم واستلاب أموالهم وغنائمهم.

ففي جميع الحكومات الإسلاميّة، حتّى وإن كان الشعار هو شعار تبليغ الإسلام ونشره، إلّا أنّ الخلفيّة الكامنة في دائرة وعي الزعماء، وما يجول في داخل الراعين لها هو ما ذكر، ولم يكن هناك هدف وغاية من باطنهم وسرّهم غير ذلك. وما نلهجُ به ونصرّح به هو من هذا القبيل أيضاً، حيث

إنّنا نقول: يجب على الشيعة أنْ ينظروا إلى عاشوراء دون غيرها، ولا بدّ من نصب عاشوراء كنموذج حياتيّ في جميع حركاتنا وسكناتنا، وصلحنا ومواجهاتنا، وتهوّرنا أو خمولنا، ومبادراتنا وحذرنا. وكذلك الذين يفرّقون بين الإمامين المجتبى وسيّد الشهداء عليهما السلام، وينظرون إلى حضرتيهما بمنظارين مختلفين وبعين الأحول، هؤلاء قد وقعوا في اشتباه فاحش، وسقطوا في الضلالة، وساروا في طريق التعدّي والظلم في حقّ هذين العظيمين.

فالإمام نفسه يصرّح ضمن وصيّته لمحمّد بن الحنفيّة، حين خروجه من المدينة فيقول:

إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدّي محمّد صلّى الله عليه وآله؛ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وسيرة أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

أي: لم أخرج لأجل التنزّه، ولا لأجل التكبّر وإبراز الذّات والتميّز، ولا لأجل الفساد والتخريب، ولا للظلم والجور والتعدّي، وإنّما خرجت للإصلاح في أمّة جدّي

(١) لمعات الحسين عليه السلام، ص١٣.

محمّد صلّى الله عليه وآله؛ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأعمل بسيرة جدّي، وأسير على نهج وممشى أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن البديهي أنّه في ظلّ هذه الشرائط التي ذكرها الإمام كخلفيّة وهدفٍ لخروجه، سوف تكون الغاية القصوى والهدف الأعلى من الخلقة وكذا التربية، هي الوصول إلى معرفة حضرة الحقّ تعالى، وبزوغ شمس الولاية على نفوس وقلوب العباد، وهذا هو السبب في حركة سيّد الشهداء في واقعة كربلاء؛ كما أنّه قد صرّح بنفسه بذلك وقال:

أيّها الناس! إنّ الله ما خلقَ خلقَ الله إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، واستغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه.

فقال رجل: يا بن رسول الله! ما معرفة الله عزّ وجلّ؟

فقال: معرفة أهل كلّ زمان إمامه الذي يجب عليهم طاعته[1].

وهذه السمة الخاصّة هي التي أوجبتْ أنْ يحفظ الشيعة شعيرة العزاء وإحياء مجالس ذكر أبي عبد الله عليه السلام

---

(١) م. ن، ص١١.

بشكلٍ دائم، وهو الذي جعل المعصومين يؤكّدون عليهم إحياء ذلك.

فمع كون إحياء مجالس ذكر أهل البيت عليهم السلام ذا مكانةٍ بالغة ـ سواء ذكرى تولّدهم أم شهاداتهم ـ وذلك بعنوانه أحد السنن والمعالم الثابتة في التراث الشيعيّ، إلّا أنّ إقامة مجالس العزاء لأمير الشهداء وسيّدهم حضرة أبي عبد الله عليه السلام، قد حظيت بمكانة خاصّة ومميّزة من قِبل أهل البيت، وكلّ المعصومين عليهم السلام بدون استثناء، قد أمروا الشيعة وكلّفوهم بإقامة مجالس العزاء لحضرة أبي عبد الله عليه السلام.

يروي أبو محمّد هارون بن موسى التعلكبري، بسنده المتّصل إلى صفوان بن مهران، أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال له في زيارة الأربعين:

تزور عند ارتفاع النهار فتقول: السلام على وليّ الله وحبيبه..[1].

وكذلك في كتاب كامل الزيارات يروي جعفر بن محمّد

---

(١) إقبال الأعمال، ج٣، ص١٠١؛ وكذلك في وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٧٨.

ابن قولويه بسنده المتّصل إلى زرارة، عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال:

يا زرارة إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت، وإنّ البحار تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام، وما اختضبت منّا امرأة ولا ادّهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد..[1].

وكذلك يروي بسنده عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

ما بكت السماء على أحدٍ بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن عليّ عليهما السلام فإنّها بكت عليه أربعين يوماً[2].

وكذلك يروي في كامل الزيارات بسند متّصل عن عبد الخالق، عن الإمام الصّادق عليه السلام، أنّه قال في تفسير الآية الشريفة الحاكية قصّة يحيى عليه السلام من

---

(١) كامل الزيارات، ص٨٠، ح٦.
(٢) كامل الزيارات، ص٩٠، ح٩.

قوله تعالى ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[١] أي: لم نسمّي أحداً بهذا الاسم قبله، فيقول:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ الحسين بن عليّ، لم يكن له من قبل سمياً، ويحيى بن زكريا عليه السلام لم يكن له من قبل سميّاً، ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً[٢]...

وهناك روايات أكثر من ذلك، وقد صرفنا النظر عن ذكرها لعدم الرغبة في التطويل.

---

(١) سورة مريم (١٩) ذيل الآية ٧.

(٢) كامل الزيارات، ص٩٠، ح١٨؛ وكذلك بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢١١، ح٢٢.

الفصل الثالث

اختصاص الأربعين بسيّد الشهداء عليه السلام من شعار التشيّع

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ إحدى الشعائر المختصّة بالتشيّع، والتي لا يمكن العثور على مثيل أو شبيه لها في سائر الأمم والمذاهب، ظاهرة أربعين الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ فهي من مختصّات التراث الشيعيّ، وزيارته عليه السلام يوم الأربعين من الشعائر الخاصّة بالشيعة، ولم يثبت ذلك لأيّ إمام آخر من المعصومين عليهم السلام، حتّى الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، فزيارة حضرة سيّد الشهداء عليه السلام في يوم الأربعين، وإقامة مجلس العزاء لأجله مختصّة به فقط دون غيره!

ففي كتاب **الإقبال** للسيّد ابن طاووس، يروي بإسناده عن أبي جعفر الطوسيّ، وهو بإسناده عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أنّه قال:

علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين (وهي مجموع الصلوات الواجبة والمستحبة طوال اليوم والليلة)، **وزيارة الأربعين** (أي أربعين حضرة سيد الشهداء عليه السلام)، **والتختّم باليمين، وتعفير الجبين** (بالتراب)، **والجهرُ** (في الصلاة) **بـ بسم الله الرحمن الرحيم**[1].

فزيارة حضرة سيّد الشهداء في يوم الأربعين من مختصّات الشيعة، وقد طرحها الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام بعنوان أنّها شعار وعلامة للإنسان الشيعيّ، تماماً كما أنّ تعفير الجبين بالتراب هو من علامات الشيعيّ، وكذلك الجهر بالبسملة، والقيام بالنوافل طبقاً لتعاليم الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

مع كامل الأسف، في هذه الأيّام خرجتْ مسألة الأربعين عن كونها شعاراً للتشيّع وأحد مميّزاته، فانحدرتْ وسرتْ إلى سائر الأفراد، من جميع الطبقات

---

(١) **إقبال الأعمال**، ج٣، ص١٠٠؛ وكذلك **عوالي اللئالي**، ج٤، ص٣٧؛ وفي هامش **مصباح المتهجّد**، ج٣، ص٧٣٠، في فضيلة زيارة الأربعين؛ وكذلك ورد شبيه هذا المضمون عن الإمام الصادق عليه السلام.

والمستويات، حتّى بدتْ هذه العادة المتخلّفة والمرفوضة وكأنها سنّةٌ مفروضة في الأوساط الشيعيّة، وبدتْ شيئاً غريباً حتّى بالنسبة لسائر المذاهب الإسلاميّة، وبالطّبع، فقد زالت العلاقة بينها وبين سيّد الشهداء عليه السلام ولم تعدْ منتسبة إليه، وهذا المشهد الذي آلتْ إليه مخالفٌ قطعاً لمباني مدرسة التشيّع وأصولها الاعتقاديّة، وبعيد عن رضى أهل البيت عليهم السلام.

تتجلى ميزة التشيع في تبعيّة الإمام المعصوم وطاعته والانقياد له دون بحث وكلام؛ فهم ليسوا كسائر الفرق الإسلاميّة، الذين تخلّوا عن أحد ركنيّ الثقلين الأساسيّ، وابتعدوا عن عترة رسول الله، وتبعوا أشخاصاً وأفراداً آخرين، ومن الطبيعيّ أنّهم حرفوا أنفسهم عن الطريق الرحب للسعادة والفلاح، وقبعوا في وادي الضلال والغواية والمهالك الموبقة، وشيّدوا دينهم على أساس التوهّمات والتخيّلات والخرافات وبنوا حياتهم عليها بشكلٍ تامّ، وذلك بواسطة تدخّل القياسات والاستحسانات والسلائق الشخصيّة، وأوكلوا زمام أمور دينهم ودنياهم بيد الجهّال والمعاندين أمثال أبي حنيفة وغيره، فاختاروا خسران الدنيا والآخرة.

لأجل ذلك، فإنّ رمز فلاح الشيعيّ ونجاحه، تبعيتُه لسنن الأئمّة وأوامرهم، فقط لا غير! وليس له حقّ التدخّل والتصرّف في الأوامر الملقاة من الزعماء المعصومين عليهم السلام مطلقاً، وليس من حقّه أنْ يخطو خطوةً واحدة، أو يتعدّى الحدود المرسومة له في سائر القضايا والموضوعات، سواء العباديّة منها أم الاجتماعيّة؛ وإن يمضِ ويتخطَّ فسوف يبتلى بذاك الخسران، ويتورّط بتلك المهلكة التي سقط فيها الآخرون.

ينبغي على الشيعيّ أنْ لا يعمل من تلقاء نفسه، ولا يشرّع أحكاماً من عنده ولا يزيد ولا ينقص، بل لا بدّ وأنْ يحوّل توجّهه وعيناه وأذناه وحواسّه نحو ممشى الأئمّة ومبانيهم، دون أنْ يعيرَ أيّ سمع لتلقينات العوامّ وإيحاءاتهم، ولا أنْ يرفع يده عن أصوله ويتنازل عن أسسه، استجلاباً للعوامّ واسترضاءً لهم، بل يرجّح رضا الله وإمام الزمان أرواحنا فداه، ويقدّمهما على المصالح الدنيويّة والأوهام والشائعات وإرضاء بعض الجهلة الذين لا علم لهم بمباني التشيّع.

في هذا الزمان، لم تعدْ قضيّة أربعين سيّد الشهداء

عليه السلام ذاتَ اهتمام وامتياز خاصّ، فقد خسرتْ حيثيّة كونها شعاراً وعلامة مائزة، وصارت في أوساط العوامّ وكأنّها أحد الشؤون العاديّة مثل سائر الأربعينيّات التي تقام على الأموات، ولم تعدْ محلاً لتوجّه المذاهب الأخرى ولفت نظرهم.

والملفت هو أنّه بناءً على بعض الروايات المأثورة، فإنّ أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، بعد دخولهم المدينة، لم يقيموا العزاء على سيّد الشهداء أكثر من ثلاثة أيام، مكتفين بذلك على العمل بسنّة رسول الله المتداولة في ذلك الزمان. وهذا المطلب موجود في كتاب **أخبار الزينبيّات** لـ **يحيى عبيدلي**،المتوفّى سنة ٢٧٧ هجري. والجدير بالذكر أنّ مؤلّف هذا الكتاب من السادات الحسينيّين، ويصل نسبه إلى الإمام السجّاد بفاصلة أربع وسائط، والعلماء أمثال العلّامة الحاجّ الشيخ آغا بزرك الطهراني يمتدحونه ويجلّون منزلته بسبب كتابه النفيس.

حيث يذكر في كتابه أنّه بعد وصول أهل البيت إلى

المدينة، قد أقاموا العزاء ثلاثة أيّام وثلاث ليال، وشارك في ذلك نساء بني هاشم وسائر أصناف الناس[1].

نرى أنّه من المناسب أنْ نذكر هنا كلام المرحوم المغفور له، آية الله الشهيد الحاجّ السيّد **محمّد علي القاضي الطباطبائيّ التبريزيّ**، حيث ينقل في كتابه القيّم **الأربعين** فيما يتعلّق بهذا المطلب:

... يجب أنْ نشير هناك إلى هذه النكتة، من أنّ أهل بيت الرسالة بعد دخولهم المدينة، لم يتخطّوا آداب الشريعة في إقامتهم العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام ولم يعقدوا المجالس لأكثر من ثلاثة

---

(١) **أخبار الزينبيّات**، ص١١٥؛ وعين عبارة الكتاب المذكور هي التالي:

عن الحسن بن الحسن قال: لمّا حُملنا إلى يزيد وكنّا بضعة عشر نفساً أمرنا أن نسير إلى المدينة، فوصلناها في مستهل... وعلى المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، فجاء عبد الملك بن الحارث السهمي فأخبره بقدومنا، فأمر أنْ ينادي في أسواق المدينة: ألا إنّ زين العابدين وبني عمومته وعماته قد قدموا إليكم، فبرزت الرجال والنساء والصبيان، صارخات باكيات، وخرجت نساء بني هاشم حاسرات تنادي: وا حسيناه وا حسيناه!! فأقمنا ثلاثة أيام بلياليها ونساء بني هاشم وأهل المدينة مجتمعون حولنا.

أيّام، والحال أنّ تعزية سيّد الشهداء عليه السلام متحقّقة على الدوام ودون أيّ تراجع أو قلّة، بل هي سنة بعد سنة. وأمّا بالنسبة لسائر الأشخاص، فقد ذكر الشيخ الطوسيّ (ره) في المبسوط: ويكره الجلوس للتعزية يومين وثلاثة أيّام إجماعاً[1]. ومن المحتّم أنّ العمل بالمشهور ـ أي الثلاثة أيّام ـ غير مكروه، والإجماع المنقول عن الشيخ (ره) ليس بحجّة، كما قدْ حقّق ذلك في أصول الفقه بشكل تامّ، ولا شكّ أنّه في زماننا هذا، أصبحت الناس في تعزيتها وإقامة مجالس الترحّم على أمواتهم ـ وخصوصاً طبقة العلماء والفقهاء ـ تتخطى حدود الشرع وآدابه، وأصبحوا يوماً بعد يوم، يهيلون التشريفات التي لا طائل منها، إرهاقاً لأنفسهم وتضييعاً للأوقات[2]. انتهى.

يقول كاتب هذه السطور: حتّى مع توجّه الإشكال على

---

(١) إجماع العلماء منعقد على أنّ إقامة مجلس العزاء على الميّت أكثر من يوم واحدٍ مكروه.

(٢) تحقيق دربارهٔ روز أربعين حضرت سيّد الشهداء عليه آلاف التحيّة والثناء، في الهامش ص٥٨.

إجماع المرحوم الشيخ فيما ذكره من كراهة العزاء إلى ثلاثة أيّام، وذلك كما ذكره المرحوم المغفور له صاحب كتاب «الأربعين»، ولكن نفس إدّعاء الشيخ لهذا المطلب يثبتُ ويؤيّد أنّ السنّة الجارية في زمانه، أو السابقة على زمانه ـ على الأقل ـ قائمة على ما دون الثلاثة أيّام لا أكثر.

فمن الممكن أنْ يقال: إنّ انعقاد مجالس الأربعين للأموات بغية طلب المغفرة والرحمة لهم، هو في حدّ نفسه سنّة حسنة ومرضيّة، وأنّه لا يراد منها ـ لا قدّر الله ـ مواجهة أربعين سيّد الشهداء عليه السلام أو مقابلته؛ وعليه فما هو الإشكال في أنْ يقدم أولياء الميّت ويبادروا إلى إقامة هكذا مجلسٍ، يتوخّى منه المغفرة ويهدى ثوابه إلى روح المتوفّى؟! وحيث أنّه لم يردنا المنع عن هكذا مجالس من طرف الشرع المقدّس، فسوف تكون النتيجة هي أنّ الحكم الأوّليّ قائم على الجواز وعدم الممنوعيّة، تماماً كما في سائر الموارد التي لم يرد فيها منع أو ردع بعينه من ناحية الشرع، وذلك في ما لا يتنافى مع الأصول الكلّية والقواعد العامّة للمذهب، ومقتضى القاعدة حينئذٍ هو عدم الحذر والإباحة الظاهريّة.

ولكن جواب هذه الشبهة هو أنْ يقال: إنّ مقتضى الاحتياط في خصوص هذه المسألة وما يشابهها من الموارد والمسائل، هو عكس الحكم بالإباحة وعدم الجواز، وهذه المسألة تختلف مع ما بُيّن في تقرير الشبهة.

وتوضيح المطلب في ما يلي:

قد دوّنت الأحكام الشرعيّة على أساس المصالح والمفاسد ـ النفس الأمريّة والواقعيّة ـ وارتكزتْ على أساس التربية، وإبراز فعليّة الاستعدادات البشريّة، فالملاك الذي يراعيه الشارع المقدّس في تشريعه للقوانين، هو توافق التكاليف الشرعيّة وانطباقها على الجهات التكوينيّة والفطريّة للإنسان، وحتّى مع كون فعل الحقّ تعالى خارجاً عن دائرة الموازنة والمقايسة مع المصالح والمفاسد ـ كما هو حاصل في أفعالنا وسلوكنا ـ إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ مشيئته وإرادته يمكن أنْ تتعلّق بأمر لغوي وعبثي، لأنّ حكمته البالغة تقتضي أن يكون فعل الله تعالى عين الصلاح، ويكون الصلاح عينَ فعله، وذلك في مرتبة متأخّرة عن إرادته ومشيئته، لا في رتبةٍ متقدّمة بعنوانها علّةً غائيّة.

وعلى ذلك، وحسب مفاد الآية الشريفة: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ

أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[١] فحيث أنّ خلقة الإنسان ناشئة عن الحكمة الإلهيّة البالغة، فلا بدّ وأنْ تكون الهداية والتربية أيضاً مرتكزة على نفس ذاك الأساس، بوزان واحد ومعيار ونسق واحد، كي لا يقع أيّ تضادّ أثناء الوصول إلى النتيجة وحصول الغاية المرجوّة.

وحيث أنّ خلقة الإنسان متنزّلة من أعلى رتبة من مراتب عالم الخلق وأحسنها وأسماها، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢]، لأجل ذلك، ينبغي أنْ تكون أحكامه وتكاليفه الشرعيّة مبنيّة على أرقى ما يتصوّر من درجات التكليف وأحسنها، غاية الأمر أنّه هناك فارقٌ بين الأمرين؛ فأصل تكوّنه ونشأته في أحسن تقويم يمكن تصوره، إنّما كان بدون إرادة الإنسان ودون اختياره، وأمّا الأحكام والقوانين المنزلة من عند الله، فإنّها مجعولة لتكون موضع اختيار البشر وإرادتهم، ولتُنسج في عملهم، ولتكون سبباً في تحقّق تكاملهم وإخراجهم من مرحلة الاستعداد إلى رتبة التحقّق بالفعليّة التامّة. ولهذا، سوف لا يكون هناك فرقٌ

---

(١) سورة طه (٢٠) الآية ٥٠.

(٢) سورة التين (٩٥) الآية ٤.

بين هذين الجانبين وهاتين الحيثيّتين بشكلٍ مطلق، إلّا من نفس حيثيّة التكوين وحيثيّة التشريع؛ بحيث لو جوّزَ الشارع المقدّس أنْ يختار البشرُ العملَ المرجوح والمفضول ولو بمقدار ذرّة واحدة، فسوف تكون هذه الرخصة منافيةً لحكمة الخلقة والتكوين ومتعارضة معها!

وعلى هذا الأساس، سوف يكون الحكم الممضى من ناحية الشرع والمرضيّ له، هو خصوص الحكم المنسجم مع إرادة الشارع ومشيئته مائة بالمائة، دون أدنى اختلاف ودون إدخال المصالح الدنيويّة والأذواق الشخصيّة والأهواء النفسانيّة. ومن هناك وحيث أنّ مشيئة الشارع هي تلك الملاكات والمصالح والمفاسد النفس الأمريّة، فإنّ تكليف الإنسان ينحصر في أنْ يطبّق أعماله وسلوكه بشكل تامّ على تلك الملاكات الكلّية، المبيّنة من ناحية الشارع والموضّحة من قِبَله. ومن الطبيعيّ أن يكون للفعل الواحد ـ من جهة أبعاده المختلفة ـ أغراض وحيثيّات متفاوتة، ويمكن إدراجه تحت ملاكاتٍ وقواعد مختلفة، لذلك ففي مقام الترجيح وتطبيق الملاكات الكلّية على ذاك العمل الخارجيّ، لا بدّ وأن تلاحظ الوجوه المرجّحة، ولا بدّ

وأن تراعى قوّتها وضعفها بشكل دقيق، إذْ من الممكن أنْ يكون أحد الأفعال مستحسناً ضمن ظروف وشرائط خاصّة، ويكون بعينه قبيحاً ضمن ظروف مغايرة وشرائط أخرى.

مع التوجّه إلى المطالب السابقة، يجب أنْ نلاحظ رأي الإسلام بالنسبة لمسألة «الأربعين» ونعرف أيّة سنّة طرحها الشارع المقدّس لإقامة مجالس العزاء والترحّم، وبالخصوص رأيه ونظره بالنسبة إلى الأربعين؟

يروي المرحوم الشهيد رواية في كتاب اللمعة في بحث الحداد (ترك الزينة للنساء)، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال:

لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أنْ تحدّ على ميّت فوق ثلاث ليال إلّا على الزوج أربعة أشهر وعشراً[1].

أي: إنّه لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله وتعتقد به وبالآخرة أنْ تترك التزيّن حداداً على ميّت أكثر من ثلاث ليالٍ، إلّا

(١) الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة، ج٦، ص٦٣.

على زوجها، فيجب أنْ تستمرّ في حدادها عليه أربعة أشهر وعشرة أيّام.

ثمّ يتابع الشهيد فيقول:

ولا حداد على غير الزوج مطلقاً، وفي الحديث دلالة عليه، بل مقتضاه أنّه محرّم، والأولى حمله على المبالغة في النفي والكراهة[1].

أي: ترك الزينة حداداً على غير الزوج لا وجود له في دائرة التشريع مطلقاً، وقد ورد في الحديث ما يشير إلى ذلك، بل إنّ مقتضى الحديث حرمة الحداد، ولكن الأولى أنّه ليس المراد منه الحرمة وإنّما الكراهة الشديدة فقط.

في هذه الرواية كما هو واضح، قد جعل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم العزاءَ على الميّت ثلاثة أيّام، وبعد الثلاثة ليس هناك عزاء.

ونظير هذه الرواية أيضاً، ما ورد في المدوّنة الكبرى

---

(١) م. ن، ص٦٤.

المجلّد ٢ صفحة ٤٣٢ عن عائشة زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال:

لا يحلّ لمؤمنة تحدّ على ميّت فوق ثلاثة أيّام[١].

وكذلك وردت هذه الرواية في كتاب **المبسوط** للشيخ الطوسيّ[٢].

ويروي المرحوم الصدوق أيضاً عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال:

يُصنع للميّت مأتمٌ ثلاثة أيّام من يوم مات[٣].

---

(١) وكذلك ورد في **كتاب الأمّ** للإمام الشافعيّ، ج٥، ص٢٤٧؛ وكذلك **كتاب الموطأ** للإمام مالك، ج٢، ص٥٩٨؛ وكذلك **كشاف القناع** للبهوتي، ج٥، ص٤٨٥؛ وكذلك **كتاب المسند** للإمام الشافعي، ص٣٠٠؛ وكذلك **مسند أحمد**، ج٦، ص٣٧؛ وكذلك **صحيح البخاري**، ج٢، ص٧٩؛ وكذلك **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٠٤؛ وأيضاً في **سنن ابن ماجة**، ج١، ص١٦٧٤؛ وكذلك **المبسوط** للسرخسي ج٦، ص٥٨؛ وغيرها.

(٢) **المبسوط في فقه الإماميّة**، ج٥، ص٢٦٥.

(٣) **من لا يحضره الفقيه**، ج١، ص١٨٢، ح٥٤٥؛ وكذلك **الكافي**، ج٣، ص٢١٧؛ وأيضاً **وسائل الشيعة**، ج٣، ص٢٣٦؛ وكذلك **مستدرك الوسائل**، ج٢، ص١٣٨١؛ وكذلك **بحار الأنوار**، ج٧٩، ص٧٢؛ وفي **جامع أحاديث الشيعة**، ج٣، ص١٤٦٦؛ وفي **مستدرك سفينة البحار**، ج١، ص٤٥؛ وفي **كتاب فلاح السائل**، للسيد ابن طاووس، ص٨٦ وغيرها.

كذلك ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام، أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، حينما استشهد جعفر بن أبي طالب، أمرَ ابنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها أنْ تذهب إلى منزل بنتِ عميس وجميع نساءها وأقاربها، وتصنع لهم الطعام مدّة ثلاثة أيّام؛ ومن ذلك اليوم انعقدت سنّة العزاء بين المسلمين على ثلاثة أيّام[1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٨٢، ح٥٤٩.
وكذا ورد في كتاب المحاسن ص٤١٩، باب الأحكام في المآتم، حديث ١٨٩: عنه عن أبيه عن سعدان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ينبغي لصاحب الجنازة أن يلقى رداءه حتّى يُعرف، وينبغي لجيرانه أن يطعموا عنه ثلاثة أيّام.
وحديث ١٩٠: عنه عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: يصنع للميت الطعام للمأتم ثلاثة أيام بيوم مات فيه.
وفي حديث ١٩١: عنه عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا قُتل جعفر بن أبي طالب عليه السلام، أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمةَ عليها السلام أن تتخذ طعاماً لأسماء بنت عميس ثلاثة أيّام وتأتيها وتُسلّيها ثلاثة أيام، فجرت بذلك السنّة أن يُصنع لأهل المصيبة ثلاثة أيام طعام.
ومثله في الأمالي للشيخ الطوسي، ص٦٥٩.

وقال الإمام الصّادق عليه السلام:

ليس لأحدٍ أن يحدّ أكثر من ثلاثة أيّام إلّا المرأة على زوجها حتّى تنقضي عدّتها[١].

وقد أورد العلّامة المجلسيّ رحمة الله عليه في البحار:

وأمّا استحبابُ بعث الطعام ثلاثة أيّام إلى صاحب المصيبة فلا خلاف بين الأصحاب في ذلك، وفيه إيماءٌ إلى استحباب اتّخاذ المأتم ثلاثةً، بل على استحباب تعاهدهم وتعزيتهم ثلاثةً أيضاً، فإنّ الإطعام عنه يدلّ على اجتماع الناس للمصيبة[٢].

ثمّ نقل بعد ذلك كلام الشهيد الأوّل عن الذكرى، وكذلك رواية الرسول الأكرم والإمام الصّادق عليهما السلام حيث ورد فيهما أنّ العزاء على المتوفّى ثلاثة أيّام فقط.

وكذلك الشيخ أبو الصلاح الحلبيّ يقول حين تعرّضه لهذه المسألة:

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٨٢، ح٥٥٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٩، ص٧١.

(٠) الكافي في الفقه، ص ٢٤٠.

من السنّة تعزية أهله ثلاثة أيّام وحمل الطعام إليهم[١].

وكذلك أيضاً ما في كتب أهل السنّة، ففي كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاريّ:

باب حدّ المرأة على غير زوجها:

قال: حدّثنا مسدد، حدّثنا بشر بن المفضل، حدّثنا سلمة بن علقمة عن محمّد بن سيرين قال: توفّي ابنٌ لأمّ عطيّة رضي الله عنها، فمّا كان اليوم الثالث دعت بصفرة (نوع من الأدوية التي تتزيّن بها النساء وتدهن بها يديها) فتمسّحت به وقالت: نُهينا (من قِبَل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم) أنْ نحدّ أكثر من ثلاثٍ إلّا بزوج (أي إلّا لأجل الزوج)[٢].

وكذلك يُنقل عن زينب بنت أبي سلمة أنّها قالت:

لما جاء نعي أبي سفيان من الشام دعتْ أمّ حبيبة رضي الله عنها بصفرة في اليوم الثالث، فمسحت عارضيها وذراعيها وقالت إني كنت عن هذا لغنيّة لولا أنّي سمعتُ

(١) الكافي في الفقه، ص ٢٤٠.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٢، ص٣٩٦.

النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلم يقول: لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أنْ تحدّ على ميّت فوق ثلاثٍ إلا على زوجٍ فإنّها تحدّ عليه أربعة أشهرٍ وعشراً[1].

وكذلك تقول زينب بنت أبي سلمة التي روت الحديث السابق:

دخلتُ على زينب بنت جحش حين توفّي أخوها فدعتْ بطيب، فمسّت، ثمّ قالت: ما لي بالطيب من حاجة غير أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول على المنبر: لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميّت فوق ثلاثٍ إلا على زوجٍ أربعة أشهر وعشراً[2].

يستفاد من مجموع هذه الروايات، وكذلك السيرة المستمرّة من زمن رسول الله إلى ما بعده والمعمول عليها بين المسلمين، أنّه من المسلّم به دون ريبٍ هو أنّ سنّة نبيّ الإسلام والشرع المقدّس في موضوع التعزية وإقامة مجالس الترحّم على الميّت ثلاثة أيّام فقط لا أزيد! وقد حدّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المرأة التي تقيم العزاء

---

(١) م. ن، ص٣٩٧.

(٢) م. ن.

على ميّتٍ لأكثر من ثلاثة أيّام. وهذه السنّة شائعة ورائجة، ولم يطرأ عليها شيءٌ من التغيير والتحوّل في زمان الأئمّة عليهم السلام.

يقول المرحوم النراقيّ في كتابه الشريف مستند الشيعة، في بحث التعزية ما يلي:

... وعن الكافي والحلبي والشهيد وأكثر المتأخّرين التحديد بثلاثة أيّام، لما من أنّ المأتم أو الحداد أو صنع الطعام لأهل الميّت ثلاثة أيّام، ولا دلالة فيها، وإن كان المأتم بمعنى الاجتماع في الموت؛ نعم يدلّ على جواز الاجتماع والجلوس لهم في الثلاثة[1].

ومن خلال التأمّل في المطالب السابقة، نجد أنّ هناك إشكالٌ في كلام المرحوم النراقيّ، لأنّه:

أولاً: إنّ حمل الطعام لأصحاب العزاء، وترك التزيّن، وإقامة مجلس الفاتحة والترحّم لمدّة ثلاثة أيّام ـ كما قد أشار إلى ذلك ـ لهو أفضل دليل وأوضح برهان على أنّ مراد

(١) مستند الشيعة، ج٣، ص٣١٣.

الشارع المقدّس ونظره متعلّقان بخصوص الثلاثة أيّام دون زيادة، وإلّا لكان بإمكانه أنْ يقول: ما دامت مجالس العزاء منعقدة يستحبّ إحضار الطعام لصاحب العزاء، أو يستحبّ ترك الزينة. بل من الواضح أنّ صاحب العزاء ـ أثناء انعقاد مجلس الفاتحة على الميّت وإبرازه الحزن على المصيبة ـ لا يتزيّن، وسوف لا يبرز نفسه بما يخالف وضعَ المصيبة وحالة العزاء، إلّا أنْ يتعدّى عن عرف المجتمع وعاداته المتداولة، وحينئذٍ ليس أمامه إلّا أنْ يلتزم بمشي العقلاء وسيرتهم في ذلك. وعليه، فحينما يقول الشارع: لا يجوز للمرأة أنْ تترك الزينة أكثر من ثلاثة أيّام، سوف يكون المراد من كلامه ـ حسب دلالته الإلتزاميّة العرفيّة ـ تحديدُ مدّة العزاء وتعيين وقت الحداد على المصيبة؛ والعجيب أنّه مع وضوح المطلب وجلائه إلى هذا الحدّ كيف خفي عليه!

ثانياً: إنّ مناسبات الحكم والموضوع تقتضي أنّ يكون مجلس العزاء حين انعقاده مكتسياً ومتلبّساً بحالة التعزية والحزن والألم، ولا يكون مدعاةً للسرور والابتهاج والمرح والانشراح! ومقتضى الحزن والألم والمصيبة هو عدم التزيُّن والتزيين أو استعمال العطور والرياحين. وعليه، فسواءٌ قيل

أنّه ليس من الجائز إقامة العزاء على المتوفّى لأكثر من ثلاثة أيّام، أم قيل أنه: لا يجوز ترك الزينة والتعطّر لما يزيد على الثلاثة أيّام، فإنّ مؤدّاهما واحد دون أيّ تفاوت؛ لأنّ مجلس العزاء يختلف اختلافاً ماهويّاً عن حفلة العرس أو العيد والسرور؛ تماماً كما لو أراد أحدٌ أنْ يرتدي لباس الحداد في حفلة العرس، دون مراعاة لعادات العرف وكيفيّة التزيّن، فكم هو قبيح ذلك!

ثالثاً: إنّ ما ذكره من أنّه يستفاد من الرواية جواز الاجتماع والمشاركة في العزاء طوال مدّة الأيّام الثلاثة هو محلّ تأمّل وإشكال أيضاً، لأنّ جواز الاجتماع والمشاركة في المجلس للتعزية وطلب المغفرة، وتسلية أهل الفقيد، في حدّ نفسه أمرٌ ممدوح ومستحسن، ولا يحتاج جوازه إلى دليل شرعيّ خاصّ؛ بداهة أنّ ذلك ثابت بحكم العقل وعموم النقل المستفاد من قوله تعالى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1]، وكذلك ما تقتضيه نفس التعزية وتسلية المصاب ومواساته، وعموم زيارة الإخوان والتحبّب إليهم، فمع كلّ ذلك لا يبقى مجال للشكّ في جواز انعقاد

(١) سورة الأعراف (٧) الآية ١٩٩.

مجالس كهذه، وسوف يكون حكم الشرع بالجواز لغوٌ وعبثٌ. وعلى ذلك، فإنّ إخراج كلام الشارع وحكمِه عن دائرة اللغويّة والعبثيّة يقتضي أنْ نقول: إنّ مراد الشارع من تلك الروايات هو تحديد مدّة العزاء وتعيين وقت الحداد، ولو كان مراد الشارع ما هو أكثر من هذه المدّة فسوف يكون هذا التحديد لغواً وخالياً عن أيّ معنى، وكأنّه يقول: كلّ من يريد إقامة هذه المجالس فليقمها إلى ما يشاء، وليمدّدها ما دام ذلك ممكناً وميسوراً له، وكلّما زادَ فهو أفضل؛ وفي هذه الصورة تكون يدُ الناس مبسوطة في إقامة هذه المجالس، وسوف يكون حظّ المتوفّى أكثر وفرة من ناحية الثواب.

لأجل ذلك، إنّ تعيين الشارع وتحديده لمثل هكذا مورد، بحيث أنّه فضلاً عن أنّ إقامة هذه المجالس غير منهيٍّ عنها شرعاً أو عقلاً أو عرفاً، فإنّها مطلوبة ومستحسنة، ففي هذه الحالة سوف يكون تحديد الشارع وتعيينه دالّاً على عدم رضاه، ومُفهماً مبغوضيّته تشكيل هذه المجالس وانعقادها لأكثر من ثلاثة أيّام، ويجب أنْ لا يُتخطّى سنّة الشارع ودستوره، والعمل على ما أمر به دون نقيصة ولا زيادة.

من المؤسف أنّه في هذا الزمان، وفي كثير من المسائل والتي من جملتها أحكام الموت، وما يترتّب عليه من الأحكام العرفيّة، لا نراعي أحكام الشرع التي ينبغي أنْ نلتزم بها، بل نمشي بشكلٍ معوجّ ومنحرف، فندمج مقتضيات عالم الآخرة مع اعتباريّات عالم الهوى والنفس الأمّارة، وننزّلهما نفس المنزلة، ونضع الحقائق مع الأوهام في كفّة واحدة.

فيجب أنْ يكون التشييع والدفن عبرةً للإنسان، ليدفعه إلى تذكّر الموت والحساب والكتاب وسائر العقبات التي يواجهها بعد الموت، فيجب أنْ يكون توجّه المشيّعين أثناء تشييعهم إلى مسألة الموت. وكلّ ما يوجب انصراف المشيّعين إلى الأمور الجانبيّة الاعتباريّة، كتهيئة إكليلٍ من الورد أو استعراض الفرقة الموسيقيّة الناعية والطبل والعلم، وقراءة الأشعار والمدح والثناء على المتوفّى وأمثال ذلك، جميع ذلك يقع في الطرف المقابل من رغبة الشارع ونظره.

ولذا ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال:

إذا أنتَ حَملتَ جنازةً فكن كأنّك أنت المحمول،

وكأنّك سألت ربّك الرجوع إلى الدنيا فَفَعلَ، فانظرْ ماذا تستأنف[١]!

وفي أمالي الشيخ الصدوق يروي عن حضرة الإمام الصّادق عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال:

أكيسُ الناس من كان أشدّ ذكراً للموت[٢].

فتشييع الجنازة يجب أنْ يولّد للإنسان التفكير بالموت والتفكّر بالآخرة، وينبغي أنْ يخرجه من دائرة الاعتباريّات ويقطعه عن سائر الارتباطات، ويُحيي في نفس الإنسان الشعور بأنّ حقيقة الدنيا ممرّ ومعبر، وأنّ العالم الأبديّ هو الآخرة. يجب أنْ يلهج أثناء التشييع بـ **لا إله إلّا الله** ويترك الأناشيد وإطلاق الشعارات والتعابير المبعّدة عن الغاية والهدف من مسير الإنسان وحركته. ولكن حيث أنّنا غارقون في عالم الوجاهة والاعتبارات، إلى الحدّ الذي امتلأ فكرنا وقلبنا وحواسّنا من هذه الأوهام والخيالات بشكلٍ تامّ، فلم يعدْ هناك منفذ ولا مجال للورود في عالم الأبديّة وعالم

---

(١) الكافي، ج٣، ص١٢٥٨؛ وكذلك كتاب الزهد، ص٧٧.
(٢) الأمالي للشيخ الصدوق، ص٢٧.

الحقائق، لذلك نتصوّر أنّنا بعد الموت، سوف يستمرّ معنا ذاك الذهب وتلك الحليّ، ونبقى نتمتّع بذاك الوميض البرّاق وتلك التجهيزات والغرور والكبرياء، الذي كنّا عليه حينما مضينا من الدنيا وتركناها، ولم نلتفت إلى أنّنا قد هجرنا عالم الاعتبارات من حين لحظة الموت، وأنّ المسافة التي تفصلنا عن هذه الوجاهات والاعتبارات ما بين الأرض والسماء.

وللمرحوم الوالد العلّامة آية الله السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ رضوان الله عليه، كلام يرتبط بهذا الموضوع، قد ذكره في المجلّد الأوّل من كتابه النفيس معرفة المعاد حيث يقول:

لقد خُيّل لكم في الدنيا أنّ الآخرة تقتفي أثر الدنيا وتتمحور على شأن من شؤونها، فأوصيتم أنْ: ليقم الشخص الفلانيّ بتزيين مقبرتي بالمرايا، وببناء قبري بالرخام، وبإعداد أثاث المقبرة وفراشها بشكل لائق، وبأن يضع على الدوام مزهريتيْ ورد على القبر، وينضد حوله الأرائك الفخمة، ولينثر على قبري كلّ ليلة جمعة باقةٌ من الورود اليانعة.

إنّ هذه أمور لا تنفع ولا تجدي شيئاً، هذه زينة عالم الغرور لا عالم الملكوت، الميّت يذهب إلى الملكوت، وينبغي أن يُهدى له شيء ينفعه ويُجديه.

إنّ ما سينفع الميّت آنذاك الأولاد الصالحون، والصدقة الجارية، والعِلْم الذي خلّفه للناس لينتفعوا به، والإنفاق على الفقراء والضعفاء، ومساعدة البؤساء، وتربية الأيتام وتفقّد أحوالهم، ونشر العِلْم والتقوى في المجتمع، وإقامة الصلاة وتلاوة القرآن والتدبّر فيه، كما سينفعه طلب المغفرة له.

أمّا هذه الزينات التي سبق ذكرها، فعلاوة على أنّها لن تجديه نفعاً فهي ضارّة له، لأنّ أخذ باقات الورد إلى الميّت وإهداءها إلى قبره بدعة وحرام، كما أنّ تزيين القبور بهذه الأشكال المذكورة حرام أو مكروه كراهة شديدة على أقلّ تقدير وهي أمور تؤذي الميّت. كما أنّ تجميل المقابر بمثل هذه الكيفيّة مخالف لتعاليم الإسلام.

إنّنا نتخيّل ـ ونحن نعيش في هذه الدنيا ـ أنّ شؤون الآخرة تماثل شؤون الدنيا، وهو تفكير سقيم

خاطئ، فنجد الميّت يوصي: ادفنوني في هذه المقبرة فأنا أخاف من الأرض التي لا سقف لها. ذلك لأنّه يتخيّل أنّ الأمر هناك كما هو هنا، فإذا دفنوه في غرفة ذات سقف فإنّه سيكون مُصاناً محفوظاً، أمّا لو أودعوه التراب في أرض مستوية فانّ الثلوج والأمطار ستؤذيه، كما إنّ حركة الناس فوق قبره ومزاره ستزعجه، وكفى بذلك جهلاً!

لقد اصطحبت الملائكة الروح إلى عالم البرزخ، وصار البدن المطروح في القبر طعاماً للديدان والأفاعي، ولقد أهلكت هذه الجهالة جميع أفراد البشر، وقد ضجّ القرآن الكريم بالنداء:

﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

لقد فنيت خيالاتكم وأوهامكم وتبدّدت في رمال العدم وفي تيه الضلالة[1].

انتهى كلام المرحوم الوالد قدّس سرّه.

وعلى هذا الأساس يتضّح وجه هذا التأكيد على

(١) معرفة المعاد، المجلد الأوّل، المجلس السابع، ص٢٠٦، الطبعة العربية.

الذهاب إلى المقابر، وزيارة أهل القبور! فيجب أنْ تكون المقبرة بسيطة، دون أنْ يزرع فيها الورود والنباتات والأشجار، ودون أن تحدث فيها الأبنية، وذلك لتبعث في النفس العبرة والاتّعاظ، ولو كانت المقابر مشجّرة ومزيّنة بالورود، فسوف لا يعود الإنسان يفكّر بالموت أثناء زيارتها، بل سينعطف إلى هذه المظاهر، وهو خلاف هدف الشارع، وأمرٌ مرفوض.

فالنّاس يتصوّرون أنّه لو كانت المقبرة خالية من هذه التزيينات، فستوجب الذعر والخوف للأموات، وسيشعرون بالاضطراب والقلق؛ لذلك فهم يريدون أنْ يشغلوهم بهذه الأمور ليزيلوا عنهم وحشة العزلة ـ تماماً كما كان ذلك زمن حياتهم في الدنيا ـ فيعمدون إلى إنشاء هذه الطبيعة الخضراء، ليلهوهم بها ويدخلون عليهم الشعور بالبهجة والسرور، ويبعدوا عنهم شبح الإحساس بالغربة. ولكنّهم غافلون عن أنّ الذي ارتحلَ إلى الدار الأبديّة قد انفتحتْ عينه على حقائق عالم الملكوت وخصوصيّاتها، ولا وجود لهذه اللذّة والسرور والفرح والانشراح الذي كان في الدنيا. فاللذّة والسرور في ذلك العالم يحصلان بواسطة شيء آخر؛ يأتي السرور من قراءة سورة الفاتحة لا من تشجير القبور وغرس

الورود فيها، يأتي من الإنفاق والصدقات لا من العمران وتزيين المقابر. تماماً كالمريض المصاب بمرض خطير، فبدلاً من أنْ يأخذه أقرباؤه ليعاينه الطبيب ويعطيه وصفة الدواء ويشفى بواسطة العمل بها، يطوفون به في المنتزهات والحدائق ومراكز اللهو والمباريات. فالذهاب إلى هذه المراكز مع هذه الحالة المبتلى بها لا يشفيه ولا يداويه، بل يوقعه في الهم والغمّ والألم، ويودي بحياته ويميته.

ونحن نريد أنْ نسري أفكارنا الخاطئة وتصوراتنا المغلوطة، ونطبّقها على شؤون الأموات وأمورهم، فحيثُ أنّنا نستوحش من المقبرة، نعمدُ إلى تزيينها بالورود والزرع، كي نرفع الخوف ونزيل الرعب الذي نحسّ به.

من المؤسف أنّه في هذه الأيّام، أصبحت مقابرنا تشبه أيّ شيءٍ غير محلّ الأموات ومكان دفنهم، وهو ما يبعثُ الأسف والألم الشديد، فمقبرة كهذه لا توجب العبرة للإنسان، ولا تنقله إلى تذكّر العالم الآخر، فصفوف بائعي الورد بجوار المقابر، تحرّك ذاكرة الإنسان نحو مجالس الفرح والبهجة أكثر منها إلى زيارة القبور، وهذا العمل خلاف نظر الشارع قطعاً، ولا بدّ من الإقلاع عنه بشكلٍ كامل.

ومن الأمور الباعثة على التأسّف أيضاً، ممّا قد رسخت وامتزجت بثقافتنا، كيفيّة إقامة العزاء وطريقة مجلس الفاتحة.

فقد تغيّرت مجالس الفاتحة في أيّامنا، فبدلاً من كونها مجلساً لطلب المغفرة حسب السنّة المتعارفة والمتطابقة مع منهج أولياء الدين وطريقتهم، فقد تحوّلت حقيقتها إلى نوع من العمل المسرحيّ، ومهارةٍ في فنّ التمثيل. وأصبح مديروها وهم: المشرفون والخطيب الواعظ والمحاضر، كلّهم متّجهون صوب تحقيق هذه الأغراض. فبدلاً من أنْ يسلّط الضوء في هذه المجالس على الآخرة وقراءة العزاء، يُعمدُ إلى المظاهر وذكر مفاخر المتوفّى. فيتمادون بمدح أصله ونسبه وعشيرته، ورفعهم إلى مستوى الأفراد الشامخين الأفذاذ، فمثلاً: فلانٌ كان ابنه طبيباً معروفاً، أو صاحب منصب كذا وكذا.. وفلانٌ ابنه الآخر مدير ووزير وغيره، وقد حصل زمن حياته على الشهادات الفلانيّة، وحيثيّته وشأنه بين أقرانه كانَت كذا وكذا. ولو قصّر ـ لا سمح الله ـ الخطيب أو المعزّي في حقّ المتوفّى وأقربائه دون أنْ يتعرّض لهذه الخصوصيّات، فسيقوم أصحاب العزاء بما يلزم من العتاب والمحاسبة والتشديد عليهم، وسوف يقصونهم عن أيّة دعوة في المجالس اللاحقة؛ ليهيّئوا

الشخص الكفء واللائق، القادر على أداء المطلب حقّه! والمتمكّن من إبراز شخصيّة الأقرباء مشرّفين ومرفوعي الرأس أمام سائر الناس.

كذلك وضع الكؤوس وصفّ الأكواب، واستقبال المعزّين بأصناف الفواكه والحلويات، فإنّها تخرج هذه المجالس عن هدفها الأصليّ، وتوجب صرف النظر إلى المظاهر المخالفة لمراد الشارع ورغبته؛ لذلك فهي خلاف نظر الشارع. كذلك السكوت والوقوف تعظيماً لمقام المتوفّى فهو من السنن الوافدة من الغرب، وهي محرّمة شرعاً. ولم يأتِ في الإسلام الأمرُ بالسكوت أو تلاوة الفاتحة بحالة الوقوف، بل لو كان الإنسان جالساً فعليه أنْ يقرأ الفاتحة كما هو على هذا الحال، ولو كان واقفاً فعليه أنْ يقرأها وهو كذلك.

وكذلك تغيير عنوانيّ «الترحّم» و«المغفرة» واستبدالهما بـ « ذكرى تعظيم أو تخليد الميّت» فإنّه من الأمور المذمومة وغير المشروعة. فما وردنا من الإسلام ووصلنا من بيانات أولياء الدين هو طلب المغفرة والترحّم وتعزية أهل الفقيد وتسلية خاطرهم، وتسكين نفوس أصحاب العزاء والمصيبة، وليس التخليد والتعظيم وأمثال هذه الألفاظ والعبارات. ماذا

تعني كلمة «التخليد»؟ فذاك المسكين قد ارتحل عن الدنيا، وهو الآن مبتلىً بألف داء وألف مشكلة، ويعاني من المصائب وواقع فيها، حينئذٍ نأتي ونقيم له مجلس التعظيم ونبجّله ونكرّمه! ينبغي أنْ يكون التعظيم والتكريم زمان حياته ـ والحال أنّ كلّ ذلك هو اعتبار وتوهّم وتخيّل ـ لا زمن وفاته وبعد مماته، حيث فاتَ الأوان وانقضت الفرصة لذلك! حيث لم يبقَ عَظَمةٌ ولا تعظيمٌ ولا اعتبارٌ ولا معتبر! الآن وقتُ الحساب لا العمل، ووقتُ كشف الحقائق لا الأمور التخيليّة والتوهميّة! الآن يسألون عن الصلاة والصيام والحجّ والإنفاق والأمر بالمعروف والصدق والأمانة والإخلاص في العمل، ولا يسألون عن العناوين المصطنعة التي يخصّص بها نفسه، ويميّزها عن سائر بني نوعه، ولا عن الوزارة والوكالة والمديريّة والمال والكسب! يسألونه الآن عن الالتزام بالتكاليف في الدنيا، وأنّه إلى أيّ حدّ كانت أموره الحياتيّة والاجتماعيّة جارية على رضا الله، وليس عن رتبته ووساماته ولباسه وغيره!

ومن هنا، فإنّ مقتضى الالتزام بالقاعدة الكليّة، ولزوم اندراج الأفعال تحت ملاكاتها الشرعيّة، هو أنْ تندرج جميع

هذه الأمور تحت رضا الشرع، وأنْ تُنحّى عن مبتدعات النفس الأمّارة، وتبتعد عن الأذواق الجاهليّة.

ومن جملة الأمور المذمومة أيضاً، مشاركة النساء في مراسم التشييع والدفن، حيث ورد فيه النهي من أولياء الدين بشدّة، وكانت السنّة في الإسلام على خلاف ذلك، لكن ومع الأسف، ما نشاهده اليوم هو رواج ذلك في الأوساط الشيعيّة، حيث يُعدّ بنظر العوام أمراً مبرّأً من البدعة والخطأ، بل يعتبرونه من أصول المعاشرة المتسالم عليها، ونوعاً من الارتباطات الاجتماعيّة.

والروايات الصادرة من أولياء الدين في هذا الباب، مورد اتّفاق كلٍّ من الشيعة وأهل التسنّن[1]، ومع الأسف،

---

(١) **الخصال**، ص٥٨٥؛ **ووسائل الشيعة**، كتاب الطهارة، أبواب صلاة الجنازة، الباب ٣٩، الحديث ٣، وأبواب الدفن، باب ٦٩، ح ٣ و٤ و٥، وكذلك باب النكاح، المجلّد ٢٠، أبواب مقدمات النكاح وآدابه، باب ١٢٣، ح١ ص٢٢٠.
ومن المصادر السنّية: **مسند أحمد**، ج٥، ص٨٥؛ وكذلك **صحيح البخاري**، ج١، ص١٨٠؛ وكذلك **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٤٧؛ وكذلك **السنن الكبرى**، ج٤، ص٦٣؛ وأيضا **مجمع الزوائد**، ج٣، ص٢٨؛ وكذلك **كنز العمّال**، ج١٦، ص٣٩١، ح ٤٥٠٥٨؛ وكذلك **الجامع الصغير**، ج٢، ص٤٦٢، ح ٧٦٥٥ و٧٦٥٦.

قد عملوا هم بهذه السنّة والتزموا بها، ولكن تخلّفنا نحن عن القافلة؛ ومع ذلك ندّعي أنّنا تابعون ومطيعون وأنّنا شيعة لمدرسة رسول الله ومنهجه وسنّته! والحال أنّه ينبغي أنْ نكون في طليعة كلّ الملل والأقوام، فنبادر إلى العمل بأوامر رسول الله ومبانيه، ولا ندع المخالفين والمنحرفين لمذهب أهل البيت عليهم السلام يسبقوننا، ولنصبح عرضة للتّهمة، بأنّنا نُعملُ آراءنا الشخصيّة وندخل في الدين ما ليس فيه.

إنّ إبعاد منهج رسول الله وإقصاءه، وعدم العمل به والالتزام بأوامره وإحكام مبانيه، وبالتالي إعمال الذوق والنظريات الشخصيّة بما يتماشى مع المصالح الدنيويّة والنفس الأمّارة بغية إعجاب العوام، كلّ ذلك يرجع في الحقيقة إلى بيع الدنيا بالآخرة، وهو ترجيح الخسران على السعادة والفلاح، فبذاك المقدار الذي يعمدُ فيه المخالفون إلى العمل على خلاف أوامر الله ورسوله، طبقاً للميل الدنيويّ ورغبات النفس الأمّارة، بهذا المقدار سوف يقصون أهل البيت والعترة، ليقعوا في تبعيّة أفرادٍ آخرين، ويكونون بذلك قد خرجوا عن طريق الحقّ، وتخطّوا الصراط المستقيم، وهو ما يجعلهم قابعين تحت نير السخط الإلهيّ وغضب رسوله. فلا قدّر الله أنْ نوهم أنفسنا بأنّنا ملتزمون بأمر

رسول الله وولاية أئمّة الهدى، فنظنّ أنّنا تابعون لإمامتهم صلوات الله عليهم أجمعين، ثمّ نعمد إلى مخالفة سنّة رسول الله، ونقع في تجاوز منهجهم بشكلٍ عمليّ، وإذا قال لنا المخالفون: قدْ أدرتم رَحى تبعيّة أوامر رسول الله وطاعته على ولاية أهل بيته وإمامتهم، فأنتم تنوحون على ذلك وتلطمون صدوركم لأجله، ثمّ بعد ذلك لا تلتزمون بأوامرهم ولا تقتَدون بسنّتهم، فأيّ جواب ينبغي أن نتفوّه به؟!

ومن هنا، حيث اتّضحت كيفيّة وحقيقة سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنسبة لانعقاد مجالس العزاء، نعلم أنّه ليس لدينا في الإسلام شيء يسمّى بـ **الأسبوع أو الأربعين أو الذكرى السنويّة**؛ لذلك يتّضح جليّاً أنّ هذه المناسبات مخالفة لسيرة الإسلام وسنّته.

فأمّا «الأسبوع» و«الذكرى السنويّة»، فلم نلمح لهما أيّ اسم ولا ذكرٍ في الإسلام قطعاً. ومع الأسف، فقد أصبحت في الأوساط الشيعيّة ـ وبالخصوص لدى الإيرانيّين ـ سنّة خاطئة وجارية وشائعة، وكأنّها أمرٌ لا غنى عنه ولا يُترك ولا يقبل الخلاف والنقاش!!

فـ **الذكرى السنويّة** حسب التراث الشيعيّ الأصيل مختصّة فقط بالمعصومين عليهم الصلاة والسلام؛ وليس

لدينا أيّ مدرك تاريخيّ ولا روائيّ يثبتُ أنّ الأئمّة عليهم السلام أمروا بتشكيل مجالس «الذكرى السنويّة» لأحدٍ من صحابتهم؛ فالذي وردَ الحثُّ والتأكيدُ عليه من تشكيل مجالس الذكرى، مختصّ بإحياء ذكرى أهل البيت فقط.

ومن باب المثال: نجد أنّ الإمام الباقر عليه السلام قد أوصى بعد شهادته، أنْ يقام له في منى المآتم ويندبَ لمدّة عشر سنوات، ويُتعرّض فيها إلى ما كان الخلفاء يوردونه على الإمام، ويتمّ توضيح ذلك للنّاس[1].

---

(١) الكافي، ج٥، ص١١٧؛ وكذلك من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٨٢؛ والتهذيب ج٦: ص٣٥٨؛ وأيضاً بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٢٠ نقلاً عن الكافي.

ونصّ ما ورد في الكافي التالي:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى.

ونصّ من لا يحضره الفقيه ما يلي:

وأوصى أبو جعفر عليه السلام بثمانمائة درهم لمأتمه، وكان يرى ذلك للسنة، لأنّ رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم قال: «اتخذوا لآل جعفر ابن أبي طالب طعاماً فقد شغلوا». وكذلك في موضع آخر ورد: وأوصى أبو جعفر عليه السلام أن يندب في المراسم عشر سنين.

وما ورد في التهذيب بهذا النصّ:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبي: يا جعفر! أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى.

وكذلك فيما يتعلّق بحضرة سيّد الشهداء عليه السلام، فقد وردنا روايات كثيرة إلى حدّ التواتر[١]. بل حتّى لو لم يتمّ التأكيد في الروايات على إقامة مجالس أهل البيت، فيجب علينا أنْ نحكم بوجوب إقامة هذه المجالس تمسّكاً بعموم إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام، سواء مجالس المواليد أم الشهادات، ولا مجال لتطرّق الشكّ في ذلك من ناحية الثقافة الشيعية.

أمّا اليوم، فإنّنا نراهم يحيون «الذكرى السنوية» لسائر الأفراد، فيكرّرون ذلك كلّ سنة، حتّى ولو نخلتْ عظامه واستحالتْ تراباً، فإنّهم لا ينسون الميّت ولا يتركونه. نعم، من الواضح أنّ قلوب أصحاب هذه المجالس غير محترقة ولا مقروحة على الميّت، فهم يلاحظون استمرار منافعهم في هذه المجالس، ويرون أنّ حياتهم وبقاءهم مرهونين بانعقاد هذه المجالس، ويتصوّرون أنّهم بواسطة تعطيل هذه المجالس سيصبح الميتُ نسياً منسياً، وبالتّبع فإنّ الأفراد المرتبطين بهذا المتوفّى، سوف يكتسبون بهذه المجالس المنافعَ والمصالح

(١) كامل الزيارات، ص١٠٠؛ وكذلك بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٧٨؛ وأيضاً إقناع اللاّئم على إقامة المآتم.

الدنيويّة، وبدونها سوف يُنسَون أيضاً، فيسعون جاهدين وبأيّة وسيلة أو حيلة، وبتحمّل العذاب والمشقّات أنْ يحفظوا إسم الميّت ويحيوا ذكره، بسائر الحجج والحيل الواهية، ومن خلال كلّ الظروف المتاحة لهم!

إنّ سورة التكاثر الشريفة التي ورد فيها: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[1] ناظرة إلى هذه الطائفة من الناس. فعلى الشيعيّ أنْ يُحكم ثقافته على أساس سنّة رسول الله، كي يستفيد من بركات هذه التبعيّة والاستنان به أولاً، وثانياً كي لا يكون ألعوبة أو وسيلة بيد المخالفين والمواجهين للتشيّع، ولا يمكّنهم من الطعن والاعتراض على التشيّع، ولا يكون مدعاة لتسليط أقلامهم وتصريحاتهم على التشيّع.

وأمّا مسألة «الأربعين»، فإنّها أشنع وأقبح من مسألة «الأسبوع» و«الذكرى السنويّة» قطعاً؛ وذلك لأنّه فضلاً عن عدم وجود أيّ خبرٍ أو أثرٍ عن الأئمّة عليهم السلام يفيد إقامة ذكرى الأربعين عن روح الأموات، فإنّ مسألة الأربعين من شعائر التشيّع وخصوصيّاته، وهي مختصّة

(١) سورة التكاثر (١٠٢) الآية ١ و٢.

فقط وفقط بحضرة أبي عبد الله الحسين أرواحنا فداه، لا غير!

ولو انجرّ الأمر إلى صيرورة إقامة مجالس الأربعين على الأموات بعنوانها سنّة ورسماً ثابتاً، فكيف يمكن حينئذٍ أنْ تكون شعاراً وعلامة وامتيازاً لسيّد الشهداء! ولو كانَ هناك رجحان من قبل الشارع لإقامة ذكرى الأربعين لسائر الأفراد، فلماذا لم نجدْ هذه المرغوبيّة بالنسبة لسائر الأئمّة عليهم السلام، بل ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟! ومع كون ذلك بالنسبة لهؤلاء العظماء أولى بهم وأجدر، بل وحتّى مع وجود كلّ هذا التأكيد على إقامة مناسبات أهل البيت عليهم السلام، والتشديد على الاستفاضة منها، فإنّنا مع كلّ ذلك لم نلحظ أيّ أثرٍ من الأئمّة بالنسبة لإقامة الأربعين على غير سيّد الشهداء عليه السلام.

وهذه المسألة تكشف عن أنّ إقامة الأربعين لغير سيّد الشهداء عليه السلام غير مرضيّ لهم قطعاً؛ بداهة أنّهم أمروا بإحياء ذكرهم، وحثّوا على تشكيل المجالس، إلّا أنّهم لم يتعرّضوا لمسألة الأربعين إلّا في خصوص سيّد الشهداء.

ولو قيل: ما هو الإشكال في أنْ تقام مجالس الأربعين

عن روح الأموات، بغيةً لطلب المغفرة والرحمة، دون أيّ داعٍ أو غرض آخر، وبعبارة أخرى: يكون الداعي لعقد الأربعين عن روح المتوفّى الجهة المعنويّة والعباديّة دون الاعتبارات والمنافع الدنيويّة ـ التي مرّ ذكرها ـ فأيّ إشكال في ذلك، وأيّ منعٍ سوف يتوجّه من قبل الشارع في هذه الحالة؟

فإنّ جوابه:

أولاً: ما هو الفرق بين الأربعين أو الثلاثين أو الخمسين وغيرها حينئذٍ؟ ولأيّ سبب يجب عقد مجلس الترحّم عن روح الميّت في رأس الأربعين؟! ولو كان من المقرّر أنْ ينعقد مجلسٌ لذكرى الميّت، فلما لا يقيمونه بعد ثلاثين يوماً أو خمسين؟!

ثانياً: إنّ العبادة الصادرة من العبد، إنّما تقع مقبولة ومرضيّة فيما لو كانت متطابقة مع الأمر الإلهيّ، دون أنْ تصدر من تلقاء نفسه أو متأثّرةً بمزاجه. فالشرط الأساسيّ في صحّة العبادة هو التقرّب والانقياد؛ وهاتان المسألتان متفرّعتان على حيثيّة توقيفيّة العبادة وجهة تعبّديتها. وما لم يصدر الأمر بالعبادة من الشارع، فسوف يكون الإتيان بها

بدعة وضلالاً وحراماً؛ حتّى وإن قصدنا القربة والرجاء ألف مرّة، فسوف لا يكون لهذا العمل أيّة قيمة ولا وزنٍ من وجهة نظر الشارع.

نعم، لو كانت المسألة بحيث يكون رجحان الفعل محرزاً ـ من جهةٍ معيّنة ـ بالنسبة للمكلّف، أو على الأقلّ محتملاً، ولم يكن هناك دليل قطعيّ على الرجحان الشرعيّ، ففي هذه الحالة لا مانع من الإتيان بالفعل بداعي الثواب ورجاء التقرّب. ولكن ما نحن فيه فضلاً عن عدم كونه واجداً للرجحان الاحتماليّ العقليّ، فإنّه ومن خلال القرائن والشواهد العقليّة والنقليّة مرجوح ومفضول، وفي هذه الحالة لا مجال لداعي التقرّب والإتيان به رجاءً للثواب، وسوف يكون الإتيان به منافياً لنظر الشارع ومخالفاً لرضاه، أو سيكون باطلاً ومكروهاً كراهة شديدة قطعاً.

وحسب الاتّفاق، فإنّ مسألة «الأربعين» من هذا القبيل، حيث لو كانَ الإتيان بها ممضىً ومرضيّاً من ناحية الشارع، لكان من المحتّم أنْ يصدر شيء يتعلّق بهذه المسألة طوال مدّة إمامة وولاية المعصومين عليهم الصلاة والسلام،

ولصدر منهم شيءٌ من التوصيات والأوامر فيما يتعلّق بها، والحال أنّه لم يتّفق شيء من ذلك، بل لمْ يُشرْ إلى مورد واحدٍ لا تصريحاً ولا كنايةً! والحال أنّه لم يكن هذا الموضوع من الموضوعات المنحصرة بخصوص زمان تواجد المعصومين عليهم السلام فقط، بل هو على العكس من ذلك، فهو موضوعٌ حيويّ وعامّ البلوى، ومتجدّدٌ في كلّ سنة وكلّ شهر وكلّ أسبوع بالنسبة لهم وأصحابهم وأقربائهم، ومع كلّ ذلك لم يصدر أيّ تشويق منهم أو حثّ أو ترغيب لأصحابهم، أو على الأقل صدور الإجازة بعقد هذه الذكرى، لأجل ذلك، يمكننا أنْ ندّعي ـ بضرس قاطع ـ أنّه لم يكن انعقاد مجلس «الأربعين» على الأموات مورد رضىً للأئمّة المعصومين عليهم السلام، وأنّ نظرهم قائم على اختصاص «الأربعين» بحضرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إلى هنا ننهي هذه الرسالة، وحتّى مع كون المسألة تحتاج إلى بسط أكثر، بلحاظ جهاتها المختلفة، إلّا أنّه مع ملاحظة الرغبة في عدم التطويل، نكتفي بما تمّ ذكره، آملين من أتباع مدرسة الولاية ومذهب التشيّع، أنْ يقلعوا

عن هذا الرسم وهذه العادة الجارية المبغوضة لله، من قبل أولياء الدين، ويتأسّوا بالسنّة السنيّة لرسول الله وأئمّة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين، ويكون هدفهم وغايتهم من كلّ أفعالهم وسلوكهم هو الانقياد والإطاعة للممشى القويم والصراط المستقيم لأئمّة الهدى عليهم السلام، الذين تنحصر الهداية والفلاح في إطاعتهم وانتخاب دستوراتهم وأوامرهم فقط لا غير[1].

---

(١) **وسائل الشيعة**، ج٢٧، ص٧٠، باب ٢٧، حديث ٢٥:

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن ابن الحجّاج، عن هاشم صاحب البريد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ـ في حديث ـ: **أما إنّه شرّ عليكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعوه منّا!**

وفي حديث ٣٢ ص٧٣: وفي كتاب «فضل الشيعة» عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن عاصم بن حميد، عن أبي إسحاق النحويّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ... **فوالله لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا!**

وحديث ٣٤ ص٧٤: محمد بن الحسن الصفار في «بصائر الدرجات» عن العباس بن عامر، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعي، عن فضيل قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **كلّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل.**

ربّنا واجعلنا من شيعة أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام والذابّين عنهم، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنّك أنت التوّاب الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والسلام علينا وعلى جميع عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته.

ليلة الجمعة، في الرابع عشر من صفر سنة ١٤٢٦ هجريّة قمريّة
المشهد الرضويّ المقدّس على ثاويه آلاف التحيّة والسلام
السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

المراجع

المراجع

القرآن الكريم: المدينة المنوّرة، خط عثمان طه.

الإتحاف بحبّ الأشراف: الشيخ عبد الله بن محمّد بن عامر الشبراوي الشافعي، تصوير عن المطبعة الأدبية بمصر، الطبعة الثانية، منشورات الرضي، قم، سنة ١٣٦٣ شمسي.

إحياء علوم الدين: أبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي، خمسة مجلّدات، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

أخبار الزينبيّات: أبي الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحجّة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام السجّاد عليه السلام، نشره وقدّم له محمّد الجواد الحسينيّ المرعشيّ النجفيّ، خطّ عبد الرحيم أفشار زنجاني، بي تا.

الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنّى ببغداد.

الاختصاص: محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) صحّحة وعلّق عليه علي أكبر الغفّاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة المقدّسة في قم.

إختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي): الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسيّ، صحّحة وعلّق عليه وقدّم له حسن المصطفويّ، انتشارات دانشگاه مشهد (دانشكده إلهيات ومعارف اسلامي، مركز تحقيقات ومطالعات) ١٣٤٨ شمسي.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة جديدة بالأوفست عن المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ١٣٠٤ هجريّة قمريّة.

الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة: السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، المحقّق: جواد القيّومي الأصفهاني، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، ثلاثة أجزاء، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هجريّة قمريّة.

إقناع اللائم على إقامة المآتم: السيّد محسن الأمين العامليّ، التحقيق والمراجعة محمود البدريّ، نشر مؤسسة المعارف الإسلاميّة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هجريّة قمريّة.

الأمالي (أمالي الشيخ الصدوق): أبي جعفر محمّد بن علي ابن الحسين بن بابويه القمّي، قدّم له الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الخامسة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٠ هـ. ق.

الأمالي (أمالي الشيخ الطوسيّ): أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. ق.

معرفة الإمام: العلّامة آية الله العظمى الحاجّ السيد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ، ثمانية عشر مجلّداً، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ. ق.

الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء): أبي محمّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبه الدينوري، أوفست عن طبعة سنة ١٣٨٨ هجري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، منشورات الرضي، زاهدي قم ١٣٦٣ هـ. ش.

بحار الأنوار: العلّامة الشيخ محمّد باقر المجلسيّ، دار الكتب الإسلاميّة (مرتضى آخوندي) طهران، مائة وعشرة مجلّدات.

تاريخ الخلافاء: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد بن سابق الدين، الخضيري السيوطي، طبع مصر، ١٣٠٥ هـ ق.

تاريخ مدينة دمشق: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عبد الله الشافعيّ (المعروف بابن عساكر)، دراسة وتحقيق علي شيري، سبعون مجلّداً، دار الفكر، ١٤١٥ هـ ق.

تحقيق دربارهء روز أربعين حضرت سيّد الشهداء عليه آلاف التحيّة والثناء (تحقيق حول أربعين سيد الشهداء عليه السلام): محمّد علي قاضي الطباطبائيّ، طبع تبريز ـ إيران، ١٣٩٣ هـ ق.

تراثنا (مجلّة): نشرة فصليّة تصدرها مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، العددان ٥٠ و٥١، السنة الثالثة عشرة، ١٤١٨هـ ق.

تفسير البرهان (البرهان في تفسير القرآن): السيّد هاشم بن السيّد سليمان ابن السيّد إسماعيل بن السيّد عبد الجواد الحسينيّ البحرانيّ، دار الكتب الإسلاميّة، خمسة مجلّدات، الطبعة الثانية، قم ـ إيران.

تفسير مجمع البيان (مجمع البيان في تفسير القرآن): الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، وقف على تصحيحه

وتحقيقه والتعليق عليه الحاج السيد هاشم الرسول المحلّاتي، خمسة مجلّدات، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٣٧٩ هـ. ق.

تهذيب الأحكام: أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (الشيخ الطوسيّ)، تحقيق: السيد حسن الخرسان، تصحيح الشيخ محمّد الآخوندي، عشر مجلّدات، دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ هـ. ش.

جامع الأخبار: المؤلّف من علماء القرن السابع، مقدّمة وتصحيح الشيخ حسن المصطفويّ، مركز نشر الكتاب، طهران، ١٣٨٢ هـ. ق.

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مجلّدان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٩١ هـ. ق.

الخصال: أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

ديوان خواجه حافظ: مولانا شمس الدين محمّد حافظ شيرازي، با تصحيح واهتمام حسين پژمان، كتابفروشي فروغي.

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: الحافظ محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري، عن نسخة دار الكتب المصريّة، ونسخة الخزانة التيموريّة، عنيت بنشره مكتبة القدسي، ١٣٦٤ هـ. ق، مصر.

رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال).

الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (الشهير بإبن الجوزي)، تحقيق الشيخ محمّد كاظم المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ. ق.

رساله السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم: العلّامة آية الله العظمى السيّد مهدي بن السيّد مرتضى الطباطبائي النجفي، مع تقديم وشرح العلّامة آية الله العظمى السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ. ق.

الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة: تصحيح وتعليق السيّد محمّد كلانتر، عشرة أجزاء، دار العلم الإسلامي، بيروت.

الزهد: حسين بن سعيد الكوفي الأهوازي أبي محمّد،

تحقيق وإخراج وتنظيم ميرزا غلام رضا عرفانيان، الناشر السيد أبو الفضل الحسينيان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ. ق.

سؤال في يزيد بن معاوية: أحمد بن تيمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ. ق.

سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: الشيخ عباس القمّي، تحقيق مجمع البحوث الإسلاميّة، تقديم وإشراف علي أكبر إلهي خراساني، الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، إيران ـ مشهد.

السنن الكبرى: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، عشرة أجزاء، دار الفكر ـ بيروت.

شرح العقائد النسفيّة: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الهروي الشافعي الخراساني مع حاشية الكستلي، طبع استانبول، ١٩٧٦ م.

صحيح البخاري: أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم البخاري الجعفي، ثمانية أجزاء، دار الفكر، بيروت.

عدّة الداعي ونجاح الساعي: أحمد بن فهد الحلّي،

صحّحه وعلّق عليه أحمد الموحدي القمي، كتابفروشي وجداني، قم.

علل الشرايع: أبي جعفر الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، قدّم له السيد محمّد صادق بحر العلوم، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع.

عوارف المعارف: شهاب الدين عمر السهروردي، [ملحق إحياء علوم الدين: أبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي] خمسة أجزاء، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

العواصم من القواصم: أبي بكر ابن العربي المالكي، تحقيق محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفيّة، الطبعة الثانية، ١٣٧١ هـ ق.

عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة: محمّد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بإبن أبي جمهور، تحقيق الحاجّ آقا مجتبى العراقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ق، مطبعة سيّد الشهداء، قم ـ إيران.

عيون أخبار الرضا عليه السلام: أبي جعفر الصدوق محمّد

ابن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، عني بتصحيحه وتذييله السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، انتشارات جهان.

الكافي: أبي جعفر محمّد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، ثمانية أجزاء، دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ ق.

الكافي في الفقه: أبي الصلاح الحلبي، تحقيق الشيخ رضا أستادي، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، ١٤٠٣ هـ ق. إصفهان.

كامل الزيارات: أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، صححه وعلّق عليه العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني التبريزي، المطبعة المباركة المرتضوية في النجف الأشرف، ١٣٥٦هـ ق.

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: أبي الحسن علي بن عيسى ابن أبي الفتح الأربلي، علّق عليه الحاج السيد هاشم الرسولي، مكتبة بني هاشمي ـ تبريز، ١٣٨٢ هـ ق.

لسان العرب: أبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، عشرة أجزاء، دار صادر ـ بيروت.

لغت نامه دهخدا: علي أكبر دهخدا.

لمعات الحسين عليه السلام: العلّامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ق.

مثنوي معنوي: بخط ميرخاني، مولانا جلال الدين محمّد بلخي رومي.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، عشرة أجزاء، دار الكتب العلميّة، الطبعة ١٤٠٨هـ ق. بيروت ـ لبنان.

المحاسن: أبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه السيد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدّث، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٣٠ هـ ق.

المدوّنة الكبرى: أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، ستّة أجزاء، مطبعة السعادة، مصر.

مرصاد العباد (فارسي): نجم الدين أبو بكر بن محمّد الرازي المعروف بـ (داية)، تحقيق محمّد امين رياحي، انتشارات علمي وفرهنگي، الطبعة الثالثة، ١٣٦٦ هـ ش.

المبسوط في فقه الإمامية: أبي جعفر محمّد بن الحسين علي الطوسي، صححة وعلّق عليه السيد محمّد تقي الكشفي،

ثمانية أجزاء، عنيت بنشره: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الثالثة.

المبسوط: شمس الدين السرخسي، تحقيق جمع من الأفاضل، ثلاثون جزءً، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ. ق.

مستند الشيعة في أحكام الشريعة: أحمد بن محمّد مهدي النراقي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، تسعة عشر جزءً، مشهد، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ق.

مسند أحمد: أحمد بن حنبل، ستة أجزاء، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

مصباح المتهجّد: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ق، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان.

معرفة المعاد: العلّامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني، عشرة مجلدات، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ. ق.

معاني الأخبار: جعفر الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، تصحيح علي أكبر الغفاري، انتشارات اسلامي، التابعة لجماعة المدرسين في قم، ١٣٦١ هـ ش.

مقاتل الطالبيين: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمّد بن أحمد بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان المعروف بأبي الفرج الأصفهاني، قدّم له وأشرف على طبعة كاظم المظفر، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران.

مقتل الحسين (عليه السلام) أو حديث كربلاء: السيد عبد الرزّاق الموسوي المقرّم، قدّم له ولد المؤلف المغفور له محمّد حسين المقرّم، منشورات الشريف الرضي.

مكارم الأخلاق: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، قدّم له وعلّق عليه محمّد الحسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة، ١٣٩٢ هـ ق.

مناقب آل أبي طالب: أبي جعفر رشيد الدين محمّد بن علي ابن شهر آشوب السروي المازندراني، أربعة أجزاء، مؤسسة انتشارات علّامة، قم.

المنح المكّية في شرح الهمزيّة: أحمد بن علي بن حجر الهيثمي المكّي، طبع المطبعة البهية المصرية، ١٣٠٩ هـ ق.

من لا يحضره الفقيه: أبي جعفر الصدوق، محمّد بن علي

ابن الحسين بن بابويه القميّ، صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

النصال الخارقة لنحور المارقة: السيد حسن آل المجدد الشيرازي، طبع ضمن مجلة تراثنا، العددان ٥٠ ـ ٥١.

نفس المهموم في مصيبة سيّدنا الحسين المظلوم عليه السلام: المحدّث الحاج الشيخ عبّاس القمّي، تحقيق الشيخ رضا أستادى، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ١٤٠٥ هـ. ق.

وسائل الشيعة: الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ثلاثون جزء، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ. ق.

ينابيع المودّة لذوي القربى: للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، جزئين، الطبعة الأولى، دار الأسوة.